رواد الشعر الحديث

في مصر

تأليف

مختار الوكيل

١٩٣٤

BIBLIOTHEQUE EGY
PT AN LI
obeikandl.com

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

الثمن ٤ قروش

obeikandl.com

بيان وتمهيد

السبب فى الجمع بين هؤلاء الشعراء الأربعة فى كتاب واحد، هو أنهم مهدوا لنهضة الشعر الحديث فى هذه الديار تمهيداً قوياً، وليس السبب أنهم يتشابهون فى المبدأ أو الثقافة، أو يتكافئون فى الطاقة الشعرية.

ولقد آثرنا جانب عرض حسناتهم الشعرية مع إشارة لطيفة إلى بعض مايؤخذ عليهم، حتى يتم لعملنا ما نرجوه من الترفع عن دناءة السعار الأدبى الذى يسمونه فى مصر بالنقد.

وغاية متمنانا أن يكون من هذا الكتاب الصغير صورة صادقة تفيد النشء العربى كما يرتكن اليها المؤرخ الأدبى اذا شعر بحاجة الى ذلك ؟

مختار الوكيل

القاهرة فى ١١ أغسطس سنة ١٩٣٤

واجب الناقد

كنت أتوق منذ بعيد لان أظفر فى هذه اللغة بنقد أدبى صادق ، ولكن أبى القدر على الظفر بهذه الأمنية حتى اليوم. لست أنكر أننا نعيش فى زمن ارتقت فيه الآداب ارتقاء عظيماً ، واتسعت فيه المدارك اتساعاً شاسعاً ، وأقبل الناس فى هذه الديار وفى سواها من أقطار الشرق العربى على الثقافة والتحصيل فى يقظة ونشاط عجيبين ، واتسع المجال أمام العاملين الصابرين على الدرس والمذاكرة من عشاق الآداب والفنون ، وأصبح بين ظهرانينا اليوم أدباء أفاضل ، وشعراء حقيقون بهذه التسمية ، وفنانون نفاخر بهم بلدان الغرب المتفوقة فى الحضارة. بيد أن هذه النهضة المباركة لم تثمر ثمرها المطلوب ، ولم تتم نعمتها على أهل الآداب والفنون فى هذا البلد ، اذ لايزال فن النقد الأدبى متأخراً متخلفاً عن فنون الأدب الأخرى . ولعله من الصدق والانصاف أن نقول فى هذا الصدد إن الظروف لم تهيأ بعد لايجاد النقد الأدبى الخالص : فالاديب الذى يقوم بنقد ثمار المطابع عندنا فى صحيفة من الصحف لايتناول فى الغالب

من الصحيفة أجراً على النقد الذى عنى به ، بل يتطوع به من تلقاء نفسه ،أما إذا كان محرراً بتلك الصحيفة فهو يقوم بعملية النقد بالرغم منه ، وقد تضطره ظروف عمله إلى أن يتصدى لنقد كتب لا يعلم عنها شيئاً ، وهو فى هذه الظروف لا يؤدى مهمة الناقد الصادق، وانما يمثل دور المخرج المضطر ، أضف الى هذا ضآلة مرتبه الذى يتقاضاه من الصحيفة . وليت شعرى كيف تريد أن تجعل منه القاضى الفاضل الذى يقول كلمته الفصل فى أمور الأدب وهو فى طخياء من الفاقة والتشرد لا يدرى هل سيصبح فى الغد عالة على فضل منقوده الذى قال فيه كلمة الحق والعدل أم لا ؟ ! فالناقد الأدبى فى هذه الديار مضطرب العيش مقلقل الأفكار ، مهدد على الدوام بالضنك والأزمات ، وكل هذه الامور من شأنها أن تغير من أحكامه تغييراً كبيراً ، وتبعدها عن جادة الصواب . وأنا أعذر الناقد الأدبى وأعنفه : أعذره لسوء ظروفه ، ولتجهم الحياة فى وجهه ، وألومه كذلك على تردده فى قول ما يعتقده الصواب ، فالنقد الأدبى السامى لا يقصد به إلى إرضاء المنقود أو إرضاء جمهرة القارئين ، وإنما المقصود منه النهوض بالأدب وحث المنتجين من الادباء على الاجادة والعناية

بآثارهم التى هم بسبيل نشرها فى الناس، والناقدالأدبى السامى قاض عادل لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، لا يرهبه وعيد، ولا تطمعه الوعود ، قد تنزه عن صغائر بنى جلدته ، وارتفع بروحه عن مادية العيش ، وتناسى الأحقاد وعمى عن الضغائن والخصومات،وتجردمن صغائر إنسانيته،وجاد من فوق الزمان بكلمة الحق التى تهدى سواء السبيل . وليكن رائد الناقد الاخلاص والاصلاح جهد الطاقة ؛ حتى يكون عامل بناء وتوطيد ، لا أداة هدم وتخريب .والآداب لا تزدهر ولا تسمو الا بالنقد المشجع الباسم المتفائل ، ولا تموت وتذوى الا بطعنات الخناجر الحادة ، وهبات الغازات السامة ،وأين هذه من النقد السليم المربى الكامل ؟

يجب على الناقد أن يشجع المبتدىء الشادى ، ويطرب المجيد ، ويصفق للنابغ ،ويشيد بالعبقرى ، فهذه هى وظيفته الحقيقية ، وهو فى هذا يكافىء المنتجين من الأدباء المكافأة التى يستأهلونها ،فهو صديق للادباء ، وليس بخصيم ولا بعدو لدود !

ومن واجبه كذلك أن يقيل عثرة العاثر ، ويرشد الضال فى رفق وعطف ، ويقود العاجز فى صبر وأناة ، ويعلم الجاهل فى

تواضع وهدوء ، ويكون فى كل حال الأخ الخالص ، واليد الآسية الرقيقة ، والصديق المتواضع المجهول .

ويمكننا أن نظفر بالنقد الأدبى الصادق اليوم فى الصحف والمجلات الفرنجية الممتازة ، ذلك لأن الناقد الأدبى لكل صحيفة أو مجلة راقية هناك يؤجر أجراً يضمن له وسائل المعيشة ، ويجعله فى هدوء ودعة لا يخاف قولة الحق ، ولا يخشى أن ينحى عليه قوم باللائمة ، وما دام هو لا يعنى سوى الاصلاح والخدمة الأدبية المجردة عن الهوى والغرض فهو فى غالب الأحوال يرضى الجمهور ويقنع المنقود .

أما عندنا ، فما يزال النقد الأدبى متأخراً كما قدمت ، فلا قواعد مضبوطة يسير الناقد على هديها ، ولا رغبة فى خدمة الأدب خدمة بريئة من الأغراض ، وانما هنا يسيطر على الناقد الصداقات والعداوات : فالناقد ينظر الى المنقود ، فاذا كان من شيعته كال له المدح ، وأغدق عليه الاطراء إغداقاً ، ونعته بنعوت العبقرية من دون حساب ، واذا كان من عدوه قلب له ظهر المجن ، وحطم أثره الأدبى تحطيماً ، ولطخ نقده

بصندوق من السباب والشتائم المقذعة ، محفوظ برمته لكل مناسبة من هذا الطراز !

ولقد قرأنا كتباً فى النقد الأدبى فى هذه اللغة ليست من النقد الأدبى فى قليل ولا كثير ، وانما هى معارض للسخائم والشتائم والأحقاد التى يجب على الناقد الأدبى الصحيح أن يترفع عنها .

ولقد عمدنا فى هذه الفصول الى نقد بعض شعراء هذا الجيل نقداً صادقاً غير متأثرين بصداقتنا لنفرمنهم ، راجين جهدنا أن نخدم النقد الادبى الصحيح خدمة خالصة ، مؤملين أن يكون من هذه الفصول رائداً للنقد الأدبى الصحيح فى هذه اللغة المحبوبة .

ولا بد من المفيد أن نذيع هنا أننا لم نتأثر بمذهب خاص من مذاهب النقد التى ألفها الناس ، وانما قصارانا فى هذه الفصول أن نحكم ذوقنا واطلاعنا الأدبى تحكيماً مستقلا عادلا .

فى الشعر

فى اللغة العربيـة كـثير من الشعر ، ولـكن الذى يستحق العناية ويستأهل الدراسة منه يسير جـداً . فما كل كلام منظوم يعد من الشعر ، فى حين قد يحسب بعض النثر شعراً . وأنت لاتقرأ كتاباً لأصنفه الادباء فى القديم لم يحو شيئاً من الشعر ، بل تجد كثيراً منه . وأحسب أن العرب كانوا لايعرفون الأديب إلا شاعراً فى أغلب الأمور . أما الناثر فما كانت له مكانة على ماأظن فى عصور البداوة الأولى ، وقد يتعب المرء فى البحث عن الشعر الحقيقى بالقراءة والدرس وقد يلتوى عليه الأمر ويضل السبيل.

يطلب المرء من قراءة الشعر لذة روحية وهزة عاطفية ، ولـكن ليس هذا كل ما هنالك فالشعر يعقب ألماً فى روح قارئه . والشعر الحقيق بهـذا الاسم ليس من أمور اللهو والتسلية العاطفية ، بل هو من المسائل التى يكد من أجـل فهمها الذهن كالرياضة والهندسة . والشاعر فى هذه الاحوال لايعالج القشور التوافه وانما يدخل إلى اللباب باحثاً عن جوهر الحياة جهده ، فأحياناً يبلغ قصده وأحياناً يخفق ؛ ولـكنه فى

الحالين الباحث الشريف المجتهد.

وقراءة الشعر على هذا الأساس تستوجب الانتباه الكلى ، لاانتباه العقل فقط ، وإنماانتباه الشعور ويقظة العواطف كذلك . فاذا حاولنا أن نفهم الشعر بعقولنا ومشاعرنا جميعاً فقد خطونا خطوة جديدة نحو نقد الشعر نقداً علمياً صحيحاً .

وأظن أننا على ضوء هذه النظرة العلمية الجديدة سنصطدم فى الغالب بالكثير من شعر هذه اللغة فى القديم والحديث ، ونعلم أننا سنغضب الكثيرين من الناظمين وقراء الشعر، بيد أننا نقول مانعتقده الحق وليس يعنينا بعد ذلك أن نكون أرضينا الناس أم أسخطناهم .

يطالع المطالع كتاباً من كتب الأدب القديمة فيروعه أن يرى شعر المدح المصنوع مكدساً تكديساً ، وشعر المدح فى الواقع من ضروب الشعر المحترمة إذا قيل عن صدق وإخلاص وصيغ فى خيال وصور فنية تستطيع البقاء وتقوى على الخلود فى عالم الادب. ولكنك قد لاتلقى ذلك الشاعر الذى كتب شعر المدح الصادق فى هذه اللغة، وانما كل ماتقع عليه من ذلك الضرب من

الشعر صور من الذلة والصغار، ونماذج من القلوب المعفرة فى رغام الضلالة والمهانة، صور لا تشرف الادب العربى على الاطلاق، وانما هى تسىء إليه كل الاساءة، فليس فيها مايمتع الروح والمشاعر، وليس فيها مايملأ العقل والفكر، وهى لاتصمد لنقدنا الذى سنحاول به أن نجلو حقيقة الشعر وننفى عنه الزيف.

والذى يعجب له المرء أن شعراء يعيشون فى زمننا هذا لايزالون على إخلاصهم للقديم فى كل شىء حتى فى المديح، فهم اذا مدحوا افتتحوا قصائدهم بغزل موهوم فى شخص حسناء خيالية ثم ذكروا مايعانونه فى سبيلها من الشحوب والالم و . . . و . . . . . و . . . . . حتى يتدرجوا الى التحدث عن فاقتهم وذلتهم ويستمطرون شآبيب خيرات الممدوح.

فاذا أغضينا عن ذلك التدلى وأهملنا هذه النفوس فكيف نهمل هذا التفكك فى نظم القصيدة ونحن نعلم اليوم أن للقصيدة وحدة يجب أن تشملها جميعاً، ولكنهم مع هذا شعراء . . . !

وأعجب من هذا اننى قرأت ديوان شاعر وقد أخرجه

للناس فى هذه الايام فرأيته يفتتح قصيدة له فى « عيد الوطن الاقتصادى» بهذا الغزل الموهوم ! ولقد انتقدت هذا التصرف منه بشدة حينما عرضت لديوانه بالنقد فى مجلة «الامام»

وصدق الاحساس من ألزم الامور فى قرض الشعر، ولكننى كثيراً ما أصطدم بالذين يسمون أنفسهم شعراء يصيغون الشعر فى كل مناسبة ، وعند أى طلب ، وللمرء قلب واحد ولا أدرى كم قلب لكل فرد من هؤلاء !

أكتب هذه الكلمة وقد فرغت من مطالعة قصة شعرية لتاغور شاعر الهند العظيم عنوانها « لعنة عند الوداع » A Curse At Farewell وما زلت أحس لها صدى يغمر نفسى ويجعلنى أسمو بانسانيتى الحقيرة الى عوالم خيالية عذبة، ولعمرى لا أدرى كيف سحرنى هذا الشاعر العظيم وبأى نفوذ غريب اقتادنى برغمى الى دنياه التى أبدعها خياله الفياض فى هذه القصة الساحرة. ان هذه القصة تذكرنى بقصة «انديميون» للشاعر جون كيتس ــ تلك القصة الشعرية السامية التى يمتزج فيها الشعور الحى باللذة الذهنية العالية .

ألا ان هذا هو الشعر السامى ، وليس كذلك الشعر الذى

ينظمه الببغاويون عندنا فى كل المناسبات .

فالشاعر فى هذه الدنيا رجل منها وليس منها، يغرد أغاريده السامية فتسمع السماء لحن الخلود فى الأرض الفانية .

. . .

على ضوء هذه النظرات نتقدم اليوم لنقد دواوين لشعراء طارصيتهم فى هـذا الشرق العربى ، وأصبحت لهم مدارس وشيع وأنصار، ولاريب فى أن شعرهم حقيق بالنقد جدير بالكتابة عنه فى دقة وأمانة، وهو يستأهل الجهد الذى يبذله الناقد فى دراستها وليس شأنه كـشان تلك المنظومات الغثة التى يتقدم بها أصحابها فى مسوح الخدم والعبيد، على أنها من صميم الشعر وعيونه ، وماهى فى الواقع سوى سبة للشعر العالى الخالد .

خليل مطران

شغل هذا الشاعر الناس أكثر من نصف قرن بشعره الطريف، وقد كان يعد فى شبابه ثائراً على اللغة والأدب العربى، بيد أنه اليوم يتمتع بمكانة محسودة بين شعراء هذه اللغة . هاجم هذا الرجل جمود اللغة العربية بشعره الرائع المعانى، الدقيق اللفظ، الباهر الصور، الطريف الموضوعات ؛ وجذب حوله انصاراً وشيعة قوية، وانتهى الأمر به إلى أن صار زعيم المدرسة الحديثة فى الشعر العربى لاينازعه فيها منازع .

أثر شعر مطران فى نفوس شعراء هذا الجيل عظيم لايستطيع أن يجحده جاحد، فهو أول من طرق موضوعات الوجدان والعاطفة الخالصة فى شعر هذه اللغة، فقد كان يكتب خواطره إلى البحر فى قصيدته « المساء » حينما كان المرحومان شوقى وحافظ وسواهما غارقين إلى الاذقان فى نظم المديح المصطنع المقيت !

والمطلعون على الشعر الأوربى يرون أن مطران واقف على أحدث تيارات الشعر العصرى . فهو لاينظر إلى جمال البيت المفرد وإنما ينظر إلى جملة القصيدة ويعنى بها كوحدة قائمة بذاتها

خليل مطران

obeikandl.com

لها كيانها ولها تركيبها وترتيبها وتناسق معانيها . فانت حينما تقرأ قصيدة لهذا الشاعر تحس بانسجام الفكر ، وتسلسل الخواطر ، تسلسلا أكاد أقول منطقياً ، بحيث لاتتردد لحظة فى تصديق هذا الشعر تصديقاً تاماً ، ولا تتوانى فى التسليم بما يقول الشاعر . فليس شعر مطران وهماً من أوهام المتقدمين والمبقين على القديم وانما هو شعر الحياة الصادق ، الذى يعالج العيوب والنقائص البشرية فى سهولة ووضوح .

وفضل مطران على الشعر العربى العصرى عظيم ، فهو الذى مهد لمدرسة الجديد ، وبنى لها الأساس المتين .

ولقد كان يعتقد اعتقاداً راسخاً حينما أخرج الجزء الأول من (ديوان الخليل) أن شعره الجديد على اللغة آنئذ سيصبح شعر المستقبل ، ولقد قال فى ذلك المعنى « على أننى أصرح غير هائب أن شعر هذه الطريقة هو شعر المستقبل لأنه شعر الحياة والحقيقة والخيال جميعاً » ولقد صدق مطران فيما قال ، فلقد شاعت هذه الطريقة وراجت منظوماتها ، وقام رهط كبير من الشعراء يتأثرونه ، ويحتذون نهجه حتى أصبح القوم اليوم لايطربون لغير شعر هذه الطريقة التى تحدث عنها مطران فى بيانه الموجز الذى صدر به ديوانه الأول فى فاتحة هذا القرن الميلادى .

كان للقصة فى الشعر العربى القديم مكانة لابأس بها ، وكان

الشعراء يدونون فى قصائدهم مفاخرهم ويسجلون انتصاراتهم ، وبلاءهم فى الغزوات ، بيد أن قصصهم لم يكن قصصاً منتظماً متسلسل الرواية ، مطرد الحكاية ، وإنما كانت ترين عليه آثار البداوة ، وتغلب على نسجه سذاجة الفطرة الأولى ، واضطراب الطفولة الانسانية ، فلم تكن هنالك قواعد مرعية ولا نظم مضبوطة ، وإنما هناك عواطف مرسلة على سجيتها ارسالا حراً .

خمل شأن القصة فى الشعر العربى بعد ذلك طويلا ، ولم ينشط الشعراء نشاطاً محمود الأثر فى سبيل النهوض بها حتى جاءت النهضة الحديثة . ولعله من الخير والانصاف للحقيقة التاريخية أن نقول فى هذا الصدد إن أول من مهد للقصة الشعرية الحديثة فى هذه اللغة انما هو الشاعر خليل مطران . فلقد كتب كثيراً من روائعه القصصية الشعرية قبل هذا القرن الميلادى العشرين وكان مبدعاً غاية الابداع فى أداء تلك القصص أداء صادقا قوياً سيترك صداه للاجيال القادمة من قراء العربية . وأذكر وأنا أكتب هذه الكلمة قصصه « العصفور » و « فنجان قهوة » و « إن من البيان لسحراً » و « الجنين الشهيد » و « فتاة الجبل الأسود » و « نيرون » من (ديوان الخليل) الجزء الأول ولا

أحب أن أقتبس منها شيئا خوفا من إفساد جمالها فما أحسب أن المرء يفهم جزءا ينتزع من جسم قصة حية ، ولذلك أنصح لكل من يحب الوقوف على أسرار الجمال القصصى فى شعر مطران أن يرجع الى ديوانه « الخليل » حيث يصيب متعة روحية وذهنية عظيمة بتشرب معانى وصور مطران القصصية كاملة غير منتزعة من أصلها . فاذا انتوينا أن نؤرخ النهضة القصصية فى الشعر العربى الحديث وجب علينا أن نضع مطران فى طليعة الذين خدموا هذه النهضة ، وأن نقول فى غير لبس أو مواربة إنه الرائد الأول فى هذا المضمار .

ومطران فى تناوله القصة الشعرية لايقصد أن يعرض علينا حكاية مجردة ، ولكنه يريد أن يستخلص لقومه وجوه العبرة من القصة التى هو بسبيل عرضها ، وهو دائما يمزج الخيال بالحقيقة الواقعة فى قصصه ، فلا تجىء قصصه مستحيلة الوقوع كتلك القصص الوهمية التى عرفت عن الأقدمين ، والتى كان أبطالها من صنع الوهم . ولكنه يخلق لك من الحوادث والمشاهدات المألوفة قصصا تسمو فيها أرواح أبطالها سموا يكاد لايتحقق فى هذه الدنيا الواقعة الا فى النادر البعيد الوقوع . يريد

بذلك أن ينهض بالنفوس الغريقة فى أوهام الحياة الشرقية المريضة ، ويأخذ بيدها إلى سبيل النور والسمو والعزة القومية

وقصصه تستأهل دراسة مستفيضة منفصلة عن شعره الباقى ، ذلك أن القصص هو العنصر الفذ الذى قامت عليه شاعرية مطران ، شأنه فى ذلك شأن كل نوابغ شعراء أوروبا ، وأحسب أن القصة عند الافرنج نشأت مع الشعر ونمت تحت أنغامه وحبت بين أوزانه ثم ترعرعت وأشتد عودها ، حتى لتفتش عن الشعر الأوربى الذى خلا من القصة فلا تكاد تعثر عليه ، والحق الذى لاسبيل إلى إنكاره أن القصصى فنان واسع الخيال ، بعيد مدى التصور ، فكل شاعر قصاص واسع الخيال بعيد مدى التصور ما فى ذلك شك ، والشعر القصصى عظيمة فوائده فهو إلى جانب أنه قصة تشرح بعض العواطف والمعاملات وتقف المرء على شىء من أزمات القلب والعقل ، قريب إلى عقول الجماهير ، حبيب إلى قلوبهم ، ولا يستطيع المرء أن يغفل مزايا القصة المنثورة وفضلها على الروح الانسانية ، فاذا سكبت هذه القصة فى أوزان موسيقية وخيالات شعرية ، فهى حرية بأن تنساب إلى القلوب دون وعى أو شعور .

ولقد توافر مطران على هذا الباب السحرى ، وأكثر من نظم القصة الشعرية السامية المقصد ، سواء فى ذلك الرمزية المثالية والعاطفية الواقعية ، وقصة « فتاة الجبل الأسود » قصة ابتدع الشاعر موضوعها ، وخلقها خلقاً بخياله المتوفر المتحفز واختار لها مناسبة حسنة ، مناسبة نهضة شعب جريح العزة يريد الثأر لكرامته المهينة وعزته الجريحة .

ويلعب الخيال المتوثب دوره الكبير فى جعل فتاة من فتيات هذا الجبل تستهدف لشعوب بين أسياف الترك وسهامهم التى لاتخطىء الهدف . ولا يزال بك حتى يبهرك بقوة خياله العبقرى ، ويسحرك ببراعة تصويره . وهو كذلك فى قصته « إن من البيان لسحراً » ، يبدع ابداعاً عظيماً فى التصوير المثالى المتخيل ، الجامع بين الخيال السامى والحقيقة الشريفة الرفيعة . وكذلك شأنه فى قصة « نيرون » التى تعد من عيون الشعر القصصى .

وأحسب أن منبع القصة عند مطران هو الحب ، والحب الشريف العذرى الذى عرفه فى مطالع الشباب ، وهل الحب إلا قصة كبيرة ، فيها كل ما فى الحياة من عواطف وأفكار وآمال ؟ وأنت ترى الشاعر فى « حكاية عاشقين » التى نظمها من سنة ١٨٩٧

إلى غاية سنة ١٩٠٣ ميلادية يسرد على الناس ذكريات غرامه فى مقطوعات متتابعة ، تأخذ النهج القصصى ، وإنى أومن أن هذه القصة التى يقول الشاعر « إنه تتبع وقائعها وكان فيها ترجمان ضمير العاشق ولسان فؤاده » هى قصة الشاعر نفسه، ما فى ذلك ريب ، ولست أدرى لماذا حاول التخلص منها ، وهى الوحى الصادق الذى ألهب شاعريته إلهاباً عظيماً ، وأحسب أن مطران الشاعر مدين إلى ذلك الوحى ، وسيبقى مديناً له ما عاش .

ومطران يتعب فى شعره رغم ما يلاحظه القراء من إنتاجه الخصب . يتعب لأنه يعتقد أن القصيدة ليست من العبث الذى يلهو به المرء ؛ ولا يعتقد كذلك أن الشعر من أمور التسلية التى يحتشدها المرء فى وقت الفراغ ، وإنما هو يرى أن الشعر حقيقة سامية ، يجب أن يكد الذهن فى سبيل إبرازها على أتم ما تكون إشراقاً وثراء وجمالا ، والجمال الشعرى عند مطران لا يعنى جمال الثوب اللفظى فحسب ، وإنما هو جمال المعنى الذى ينطوى عليه هذا الثوب ولقد يحسب الأغرار ممن يخدعهم لمعان الملابس الزاهية أن الجمال كل الجمال فى هذه الثياب الظاهرة وحدها ، ولكن الحقيقة المرة تنكشف لهم عن تورطهم الشنيع فى الخطأ عند ما تتمزق

هذه الثياب الظاهرة عن جسد قدر هزيل معروق ! فمطران يجعل همه اظهار المعنى على أتم ماتسع القافية العربية ،ولا يهمه بعد ذلك أجاء اللفظ بحيث يسمو الى براعة المعنى أم قصر عن الارتفاع اليه .

ولقد خرج شعر مطران على الناس فى أخريات القرن المنصرم حينما كان شوقى وحافظ ومن نهج نهجهما ينحون النحو القديم من حيث الاحتشاد للفظ والاهتمام بالثوب اللفظى مهما كلفهم ذلك من إفساد المعنى . وأحدث مطران فى العربية شعراً عربياً عذباً لايخرج على قواعد اللغة ولا على النظم العربى المألوف إلا بمقدار ما أثرت فيه مطالعته فى الشعر الافرنجى . ولقد تحققت نبوءة مطران بعد مدة قليلة، فرأى بعينى رأسه ثمر جده وتعبه ناضجاً جنيا : فهذه مدرسة الشعر الحديث التى أسسها هذا الرجل قد أنجبت بعد قليل من ظهور الجزء الأول من (ديوانه الخليل) احمد زكى أبا شادى وعبد الرحمن شكرى وخليل شيبوب وسواهم ممن يقودون الحركة الشعرية فى هذه الايام . ويكفى مطران فخراً أنه قد أنجب هؤلاء التلاميذ النوابغ . فكل واحد منهم يعد محوراً لحركة أدبية تجديدية أخرى ، وما أظن مطران الا

فخوراً بهؤلاء الرسل الأبرار الذين يقومون بالدعوة إلى الشعر الحى الجديد فى صدق واستبسال .

• • •

ويعجب المرء حين يرى اهتمام مطران بالنظم فى الأمور العادية ، ولكن هذا العجب لايعتم حتى يزول ويتلاشى سريعاً حينما يعلم إن النفس الكبيرة واسعة الفطرة شاملة العطف على المظاهر الكونية، وهو فى قصيدة « حلوى العيد » يصور صورة باسمة من صور الحياة المألوفة يرينا كيف تصنع الحسان حلوى العيد .

ويجدنها فلو الشفاه تعففت عن أكلها لضمنتها الخلود

فهذه الصورة الساذجة ترينا كيف يهتم الشاعر بالنظم فى الموضوعات العادية وأظنه ماكان لتهيم بالكتابة فى مثل هذا الموضوع لو لم يكن عنصر المرأة مجسماً ظاهراً فيه ، فهنا الغيد تصنع الحلوى وكفى أن يكن الصانعات لها حتى ينشط الخيال الشعرى المتوثب لتخليد ماصنعن .

والمرأة هى التى تحرك مطران وتحفزه إلى نظم الشعر ، فهى التى جعلته يبكى ويئن فى شعره الأول «حكاية عاشقين » أنين محب صادق الاحساس برىء القلب من الأدران ، وهى التى جعلته يبكى عليها بعد ذلك فى قصته الرائعة حقاً « الجنين الشهيد » حيث تحركه الاشفاق عليها إلى قوله :

وكم ضاجع الجوع الأثيم بهاءها   وقبلها حتى أجف دماءها
وكم ساعف الحر المذيب شقاءها   وكم نازع البرد الشديد نماءها
نوائب تأتى كالليالى وتستهل

وقوله :

على أنه ملهى رجال أسافل   ومبغى نساء فاجرات عواطل
جديب خصيب بالبطون الحوامل   وماتقذف الامواج من كل ساحل
من الرمل مايقذفن فيه من النسل!

يعد بنيه للمهانة والخنا   ويلقى بهم فى البحر تحت يد الفنا
فيتخذون التيه فى الأرض موطنا   عراة حفاة خائرين من العنا
إذا نزلوا خصباً فبشره بالمحل

فتحترف الأزواج بغى نسائها   وتحترف الزوجات خالع حيائها
وولدخلت آباؤها عن إبائها   يتاجر فى أعراضها وبهائها
وتنمو على خلق المفاسد والخلل

وهكذا يضرب الشاعر الاجتماعى على هذا الوتر الحساس القريب من القلوب الانسانية ، ويظهر للملأ أن الحضارة الراهنة إن هى إلا همجية مستتره ، وخان للخنا مرتع ولعلك لحظت كيف أن المرأة كانت وحيه فى هـذه القصيدة القصصية ، فجعلت منه المصلح

الاجتماعى الذى يجأر بشكواه فى ثورة عادلة حكيمة .

ويدهشك ، بل يحيرك أن ترى روح الفكاهة غالبة على مطران وهو العاطفى المزاج ، المرهف الحساسية ، الذى يعالج أموراً اجتماعية جمة . ولكن يبدو لى أن روح التبرم والتسخط هى التى جعلت منه الشاعر الفكه فى بعض المواقف وكثيراً مايضحك المرء فى أشد الحالات عبوساً وألماً ، ويجىء ضحكه سليماً بريئاً من كل آثار الحزن والألم . وهكذا تراه فى قصيدته « يوسف افندى » و « قضية بين القلب والعين » وسواهما مرحاً فكهاً .

• • •

وللناحية الوجدانية أثر كبير فى شعر مطران ، ومنشأ هذه العاطفة فيما أرى حنينه الكبير إلى وطنه ومسقط رأسه ، وهو فى « قلعة بعلبك » يسمو سمواً عظيماً فى التعبير عن حبه العظيم لهذه الديار ولأهلها الأعزاء ، ويشعرك بدموعه ويسمعك أنينه فى كل لفظة من ألفاظه الصادقة القوية ، وإنه ليذكرها ويذكر معها طفولته البريئة بين عرصاتها فيقول :

إيه آثار بعلبك سلام بعد طول النوى وبعد المزار

ووقيت العفـاء من عرصات مقويات أو أهـل بالفخـار
ذكرينى طفولتى وأعيـدى رسم عهـد عن أعينى متوارى
مستطاب الحالين صفواً وشجواً مستحب فى النفع والاضرار
يوم أمشى على الطلول السواجى لا افتراراً فيهن الا افترارى
نزقا بينهن غراً لعـوباً لاهيـا عن تبصر واعتبـار
مستقلا عظيمهـا ، مستخفا مابهـا من مهـابة ووقار
يوم أخـلو بهند نلهو ونزهو والهوى بيننـا أليف مجارى
نتبـارى عدواً كأنا فراشـا روضة ما لنا من اسـتقرار

كنت أحب أن أنقل اليك كل هذه الصورة الوصفية البارعة ولـكنى اقتصرت على هذه الأبيات ، وهى تصور لك شخصية الشاعر المحب لوطنه ولذكريات صباه ، وهو ينطلق فى التحدث عن الهوى البرىء العفيف المجهول الذى قام فيما بينه وبين « هند » حيث كانا يتباريان عدواً كأنهما فراشا روضة لا يستقران على حال ! والقصيدة كلها من الشعر الوجدانى السامى . وكذلك يجب أن نقف وقفة أخرى عند قصيدته « المساء » التى نوهنا بها فى صدر هذا الـكلام ، وهى من عيون الشعر الوجدانى الحديث ، ولقد أثرت هذه القصيدة فى كثيرين من الشعراء المعروفين فنظموا على غرارها

قصائد كثيرة، ولقد قال الشاعر هذه القصيدة، وهو مريض فى مكس الاسكندرية فجاءت تحفة خالدة ، ومنها يقول :

قلب أذابته الصبابة والجوى وغلالة رثت من الأدواء
والروح بينهما نسيم تنهد فى حالى التصويب والصعداء
والعقل كالمصباح يغشى نوره كدرى ويضعفه نضوب دمائى

. . .

هذا الذى أبقيته يامنيتى من أضلعى وحشاشتى وذكائى
عمرين فيك أضعت لو أنصفتنى لم يجدرا بتأسفى وبكائى
عمر الفتى الفانى ، وعمر مخلد ببيانه نولاك فى الأحياء

وهكذا يمضى فى حديثه عن نفسه ، وعن غرامه وعن حياته فى الغربة بين المرض والألم والذكرى الممضة .

متفرد بصبابتى ، متفرد بكآبتى ، متفرد بعنائى
شاك الى البحر اضطراب خواطرى
فيجيبنى برياحه الهوجاء
ثاو على صخر أصم وليت لى قلباً كهذى الصخرة الصماء

ويخلص من حديثه عن نفسه الى حديثه عن الغروب فيبدع حيث يقول

يا للغروب وما به من عبرة للمستهام وعبرة للرائى
أوليس نزعاً للنهار وصرعة للشمس بين جنازة الأضواء
أوليس طمساً لليقين ومبعثاً للشك بين غلائل الظلماء
أوليس محو اللوجود الى مدى وإبادة لمعالم الاشياء
حتى يكون النور تجديداً لها ويكون شبه البعث عود ذكاء

وهكذا يفتن الشاعر العبقرى فى وصف الغروب افتنانا رائعاً حقاً يسلب القلب والمشاعر جميعاً .

وهكذا مطران فى قصائده الوجدانية الأخرى شاعر كبير يبلغ القمة السامية ويشرف على الكون جميعه ويحرك العواطف كلها ويخاطب القلوب على اختلاف أميالها وأحلامها ولا يؤخذ عليه فى هذا الضرب من الشعر غير العناية الكبيرة بالمعانى الرصينة القوية والاهتمام التام بحشد الصور الكثيرة المزدحمة ولكن وحدة القصيدة عند مطران من أسباب مجده الشعرى ، ولعله الشاعر الأول الذى عنى بها بين شعرائنا المحدثين .

ومطران يحب حباً شاملا لا يحد ولا يحصر ، يحب الناس جميعاً ومن هنا كان له أصدقاء كثيرون أخلص لهم الود وأنزلوه من نفوسهم منزلة كريمة . ويظهر لك هذا الحب الشامل المتين فى

فرحه وابتهاجه بفرح هؤلاء الأصدقاء وابتهاجهم ، وفى حزنه وبكائه لدى مصائبهم والامهم .

ولعل أحسن قصائد الرثاء فى شعر مطران قصيدته فى صديقه « مصطفى كامل » التى أنشدها على ضريحه فى حفلة الأربعين ، وهى قصيدة سامية الخيال ، قد ظهرت فيها العاطفة الصادقة ظهوراً بيناً ، ولا بدع فقد كان خليل مطران أحد المجاهدين الذين انضموا تحت لواء الزعيم مصطفى ، وناصروه فى دعوته ، وأيدوه فى فكرته ، وتأثروا بآرائه ، حتى ليرى القارىء هذا التأثير واضحاً تمام الوضوح فى (ديوان الخليل) نفسه وفى هذه القصيدة يقول :

مصر العزيزة قد ذكرت لك اسمها
وأرى ترابك من حنين قد هفا
وكأننى بالقبر أصبح منبراً
وكأننى بك موشك أن تهتفا

. . .

وبعد ، فهذا مطران الشاعر كما يبدو فى ديوانه الأول (الخليل) الذى طبعه فى أوائل هذا القرن الميلادى ، ولا يزال فى طليعة

مفاخر الشعر الحديث ، ولقد اقتصرنا عليه ونحن نعلم أن الشاعر قد نفح قراء الأدب ولا يزال ينفحهم بشعره الرائع الخصب.

والرأى فى مطران أنه الشاعر الذى مهد لهذه النهضة الشعرية الحديثة فى العالم العربى التى أثمرت الآن وآتت أكلها ، وهو شاعر دقيق المعنى فى أغلب نظمه ، حديث الموضوعات ، لطيف المدخل سهل التعبير سهولة ربما انقصت الجمال الشعرى فى بعض المواقف ، وهو إلى ذلك أول من اعتنى بالقصة فى شعره عناية فائقة وأتى بها فى ثوب من الفن قشيب .

عبد الرحمن شكرى

شاعر نظم كثيراً ، ثم سكت طويلا . أخرج للناس من ديوانه سبعة أجزاء فى مدى عشرة أعوام ، ثم صمت صماتاً هائلا مقلقاً أكثر من خمسة عشر عاماً ، ولا يدرى جمهرة الناس لم صمت فلم يعد يهتم بنشر شعره فيهم ؟

أخرج الجزء الأول من ديوانه عام ١٩٠٩ وهو فى العشرين من عمره ، وفى ذلك قال حافظ ابراهيم .

أفى العشرين تعجز كل طوق وترقصنا بأحكام القوافى

ومهما يكن مبلغ هذا البيت من الصحة ، فان شكرى قد خرج على الناس حقيقة بشىء جديد غير مألوف : خرج عليهم بديوان غريب لم يسبقه إلى الظهور ديوان غريب مثله الا هم إلا ديوان خليل مطران الأول ، وفى هذا الديوان تطالع أول ما تطالع قصة « كسرى والأسيرة » وتخرج بها معتقداً أن خليل مطران قد أثر شعره فى الشعراء الشبان ، ثم تطالع بعد ذلك خطرات

فى المساء وهى « مناجاة يوم مضى » وفى هذه الخطرات تتحرر الفطرة الوجدانية وتنطلق العاطفة من عقالها ، ولكن الناقد الأدبى يلاحظ على الشاعر فى هذه القصيدة أنه ينظر إلى الحياة نظرة قاتمة وهو لايزال فى ميعة الشباب ، ولقد سايرته هذه النظرة فى مختلف دواوينه واتسعت اتساعاً كبيراً حتى أصبحت من عناصر شعره الأساسية . وهكذا تمضى فى مطالعة الجزء الأول من الديوان فلا تقع على الموضوعات القديمة التى أكل الدهر عليها وشرب ؛ وملها السمع من كثرة التكرار ، و إنما تدهشك الطرافة التى تلمسها فى كل قصيدة ، بل فى كل فكرة من قصيدة ويختتم الشاعر هذا الجزء بقصيدة طويلة جداً من الشعر المرسل Blank Verse تحت عنوان « كلمات العواطف » . ولعل هذا الحدث كان الأول من نوعه فى هذه اللغة ، ولعله أثار ضجة وصخباً واختلافا كبيراً . ولقد كان من الصعب على الآذان آن تفهم هذا الضرب الجديد من الموسيقى الشعرية فكان لها أن تثور وأن تضج.

والقصيدة بعد هذا مجموعة من الخواطر والعواطف تغلب عليها العبرة فى بعض المواقف ، وأحب أن أقول إنها ليست فى مستوى قصائد الجزء بالرغم من الحرية التى أعطيت للشاعر فى

صوغ القافية ، ولست أدرى مر ذلك القصور على التحقيق وربما كان منشؤه أن الشاعر ألفى نفسه أمام ضرب جديد من النظم لم تألفه روحه هو الآخر فاضطرب حتى جاءت خواطره مضطربة كذلك ، وإن كان فى بعضها جمال كثير كما فى قوله :

إذا غاث القوى فلا تراعوا فان الظلم نعش للظلوم

ويظهر أن شكرى أولع بهذا الشعر المرسل حقاً فانك تراه فى ختام الجزء الثانى من ديوانه قد نظم فى (واقعة أبى قير) قصيدة من هذا الطراز ، وكذلك فعل فى « نابليون والساحر المصرى » ولقد وفق شكرى فى هاتين القصيدتين توفيقاً لا بأس به ؛ ومهما يكن من شىء ، فهو الذى أدخل هذا الضرب الجديد من الشعر فى هذه اللغة ، ووضع الحجر الأساسى له !

وشكرى شاعر محب عظيم الغيرة ، مضطرب الفكر ، منهلع الفؤاد ، كريشة فى مهب الريح ، متطير أبلغ التطير ، وكمثل على ذلك الاضطراب النفسى الذى لا حد له ، قصيدته « جنة الحب وجحيمه » من الجزء الثالث : ففى هذه القصيدة يقول الشاعر لحبيبته إنها كل أمانيه فى الحياة ووصلها نعيمه الذى لا يبتغى سواه ، وهجرها الجحيم الذى يصلاه ، ثم يخرج من هذا الحديث إلى قوله :

غداً ينال الممات منا فمن دفين ومن رميم
خففوا هجركم قليلا فالموت من خلفنا غريم
وكلنا بالحياة صب لكننا للردى خصوم !

وهكذا نرى الشاعر يمزج نظرته الغرامية بالألم الفكرى القاتل !

ونظرة شكرى إلى النساء نظرة مريبة ثائرة بالرغم من حبه العظيم لهن ، ولعل ذلك جاء لتطيره وإرهاف عواطفه وكثرة ما يرين الشك على قلبه . أنظر اليه يخاطب (الحسناء الغادرة) بقوله : ـ

وليست أهل الحب حلية ساعة أو خلعة أبدلتها ببديل
فاذا نأى لك عاشق أنسيته إن المقيم لديك خير خليل
وحسبت غدرك كافلا بشفائه من دائه ، والغدر غير كفيل

فهنا عاشق يئن ويتوجع لغدر حسنائه الرقطاء ... ثم اسمع له فى « قبلة الزوجة الخائنة » :

قد قبلتنى قبلة مرة كأنها من حمة العقرب
تحسب أنى راتع غافل ألذ ما تدنيه من مأرب
ماء من الحسن رويتا به عاد كوعد البارق الخلب

وفى هذه الأبيات تلمس غضبة الشاعر وثورته العاصفة وجنونه الفكرى . ولست أدرى من غير المرأة يحرك عواطف الشاعر ويذهله عن كل شىء ، وهناك قصيدته «الزوجة الغادرة» من روائع الشعر العاطفى المصبوب فى القالب القصصى . ولقد كنت أحب أن أنقل منها أبياتاً ولكننى آثرت الكف عن ذلك حتى أشوق القارىء إلى مطالعتها فى الجزء الثالث من ديوان شكرى .

وهناك سوى هذه القصائد كثير من الشعر مبثوث فى أجزاء الديوان يظهر لنا فى جلاء ووضوح نظرة الشاعر إلى المرأة ورأيه فيها .

. . .

أغرم شكرى بالطبيعة غراماً عظيماً ، فأنت تراه يصور لك مفاتنها فى قصائده الكثيرة فى دقة عجيبة ، تدفعك إلى العجب . وهذه قصيدته (وصف البحر) من مفاتن شعر الطبيعة الممتزج بالعواطف النفسية ومنها يقول : ـ

ورب سفين يقرع النجم مجدها   تقاذفها مستوفز اللج غامر
يروعها فى كل هوجاء موعد   ويسعى لها قبر من الماء سائر
فليس الغمام الغمر إلا رياحها   وما المرسلات الهوج إلا الهوامر

opeikandi.com

وما ذلك اللج الذى فى سمائها بأهدأ من لج تمته الزواخر
إذا ذكر الملاح زوجاً وصبية طغى شجن فى مرجل الصدر فائر
ينفس عنه بالغناء وكفه تقيم على جفن به الدمع حائر
وتذهل عن مهد الوليد فتاته إذا مارمتها بالوعيد الزماجر
وما هى إلا دولة طار شأنها فأوحت اليها بالقضاء المقادر
وما هى الا صولة ثم انجلت وأكبر غرقاها المساعى البوائر

فى هذه القصيدة امتزاج الأوصاف الطبيعية بالتصوير العاطفى لانسانى ، وشكرى لايكاد يتناول صورة من الصور الطبيعية دون أن يمتزج بها الامتزاج الكلى .

وهو فى « عابدة الشمس » يصف تلك الزهرة الجميلة وصفاً بارعاً قد استند إلى النظرة العلمية الصحيحة فيقول :

تديرين نحو الشمس وجهاً كأنما ترينا بوجه الشمس ماكتب الدهر
فما حسرت عيناك من طول رقبة ويا رب ترصاد ينوء به الصبر
أتبغين فى تلحاظها شكر نعمة هى النور لم يحسب عليك له أجر
أتسقيك من أضوائها بلواحظ والشمس لحظ لا بطىء ولا نزر

ثم يمزج الشعور النفسى بالتفسير الطبيعى حيث يقول :

إذا غربت أرخيت أجفان عاشق يناجى حبيباً دونه للدجى ستر

وكذلك هو فى مقطوعته « عيون الندى » يمزج الحب بالطبيعة إذ يقول :

عيون الندى كونى على الزهر إنه ... يطل على العشاق منك ويشرف
فليس عيون الغيد أشعلها الصبى ... بأروع فى لأ لائها حين تعطف
ولا أطفأت منك الغزالة رونقاً
على الروض جذلان المدامع يذرف
ولازال مكسال النسيم إذا سرى ... على روضه يحنو عليك ويرؤف
يهزك هز الظئر مهد وليدها ... فلا المهد يشكوها ولاهى تعنف
ولا زال غريد العصافير واقعاً ... على الزهر يحسو منك رياً ويرشف

وفى قصيدته « أنفاس السحر » صورة طريفة للطبيعة فى هذا الوقت ، ومنها يقول :

وكم فى الدجى من بديع الغرر ... مناظر تصبى الفتى ما نظر
وميض النجوم بوجه الغدر ... ولون الدجى حول ظل الشجر
نظرت إلى النجم لما سفر ... ثقيل النعاس بعيد النظر
سويعة للقلب فيها عبر ... يهيج الخيال بها والفكر
فياليلة من ليالى السمر ... تريق علينا ضياء القمر
تطيب الأمانى بها والذكر ... وتنشقنا من نسيم السحر

جنينا من الحب خير الثمر ونلنا من اللهو أقصى وطر

وعندى أن هذه المقطوعة الغنائية من أفتن أغانى الطبيعة فى الشعر العربى، وهى حرية بأن تلحن تلحيناً بارعاً يتناسب مع روعتها ، ولقد لاحظت أخيراً أن بعض الشعراء الشبان قد تأثر بها فنظم فى موضوعها وبحرها وقافيتها مقطوعة أخرى عن الطبيعة الريفية لاتكاد تخرج معانيها وصورها على معانى هذه المقطوعة وصورها البارعة حقاً .

ولقد عرفنا شكرى متجهم الوجه حزين النفس منقبض الفؤاد ينظر الدنيا والكائنات بمنظاره الأسود ، بيد أن حبه القوى للطبيعة يجعله فى بعض الأحيان ينظر إلى الدنيا نظرة المستبشر الطروب ، وهذا هو فى قصيدته « الحسن مرآة الطبيعة » يقول لحبيبته :

قم بنا نختلس الزهور من الحـــب ونسقى الرحيق والسلسبيلا
وأرى البدر فو وجهك يابد ر نعيما جماً وحسناً صقيلا
قم بنا نعشق الحياة حبيبي لا تدعنى متيماً مخذولا
أنت مرآة ما يجىء به الكو ن من الحسن بكرة وأصيلا

أجل ، هو يعتقد أن المرأة إن هى إلا مرآة لكل مظاهر

الوجود ، وصور الحياة ، ثم اسمعه يقول بعد ذلك :

فأرى فى الصباح منك ضياء وأرى فى المساء منك ذبولا
وأرى فيك للظهيرة حراً وفتوراً لذاً وظلا ظليلا
وأرى فيك نسمة كليالى الصيف
حيث النسيم يسعى عليلا
وأرى منك فى الخريف شبيهاً ثمراً يانعاً وزهراً جميلا

ثم لايلبث حتى يتحول إلى نظرته السوداء القاتمة التى سبق أن ألمعنا اليها فيروح يقول :

كم جميل يزهى بحسن عميم حجب الموت لحظه أن يصولا
ذو بهاء ونضرة وضياء منع الموت أمره أن يطولا
أكلته الديدان ميتاً وقد كا ن يعاف العناق والتقبيلا

وهذه الالتفاتة تشعر المرء بدناءة العيش وحقارة الدنيا ، وهى وإن كانت لاتحوى فكرة جديدة أولا تضم صورة غير مألوفة إلا أنها تصور لنا الاضطراب الفكرى الذى يسود فكر الشاعر ويغطى على مشاعره جميعاً ، فهو يبتدىء قصيدته فى ثوب الاستبشار والطرب ، ثم يختتمها فى ثوب البكاء والحداد الكئيب ! ويعجب المرء كيف تتحول المشاعر فى سرعة غريبة هذا التحول العجيب

ولكنه شكرى الذى يحدث منه ذلك ، وشكرى عالم آخر من الاحساس والعواطف لا يخضع لقوانين البشر المألوفة ولا يتفق مع سواد الناس فى طرق الفكر والتخيل والشعور !

ويبدو لى أن إرهاف الاحساس عند شكرى قد شارف به الجنون ، فهو فى قصيدته (بالله ماتفعل لو بلغوك) تنتفض روح الشاعر انتفاضة شاملة فيها رعب وفيها هلاك ودمار . اسمعه يقول فى ختام هذه القصيدة مخاطباً محبوبه :

بالله ماتفعل لو بلغوك أنى أسعى عامداً لهلاك
لما مللت العيش من بعدكم سقانى السم الذى لاسقاك
جرعت منه جرعة كأسها
يروى صدى القلب الذى قد هواك
ياعجباً لو كنت لى راحماً أحرقه الرحمة تكوى حشاك
اضحك ولا تحزن لما نابنى الجسم والروح جميعاً فداك !

ودواوين شكرى كلها غاصة بهذه الحيرة المضطربة التى تصدر عن قلب مبلبل ووجدان متطير . ولعل شكرى قد ربح ربحاً عظيماً من وراء هذا التطير الذى ملك عليه مشاعره جميعاً ، ولكنه كذلك قد بعث فى شعره شيئاً من الاضطراب والغموض

فى بعض الأحيان .

• • •

وكان نتيجة لهذا التطير الغريب أن أولع شكرى بالأفكار الشاذة السوداء ولعاً عظيماً ؛ ولعله الشاعر الأول الذى نظم فى موضوعات الشذوذ نظماً قوياً محيطاً . فهو فى قصيدة « الجمال والموت » يفرق من شبح الفناء ؛ ويروح يقول وكأنه خبر عالم الموت والفناء حقاً :

فرأيت الثياب فوق أكفاناً وحولى جماجماً وعظاما
ورأيت الظلام بالنظر الآمل أبغى من الظلام ملاما
ان هذا الظلام باب إلى الموت تراه وراءنا وأماما

ويشتد هلعه من شبح الموت فيروح يناجى حبيبته الميتة فى لهفة أسيفة :

عانقينى فرب صدر خفوق ظل يحنو عليك عاماً فعاما
واجعلى ساعديك عقداً لجيدى واجعلى معصميك فيه تماما
عانقتنى فعانق الداء جسمى وكأن الخيال صار رماما
ورأيت العظام تعرى من اللحم وقد فارق البهاء العظاما
أبعدى عن مشمى النفس المر فقدماً شممت منه البشاما

أبعدى فاك ذاك عن شفتى الظمأى فقد أبدل الرضاب لغاما

ويختم القصيدة بهذا البيت الرائع :

بينما أنت كالضياء بهاء إذ تعودين رمة تتحامى

وهى فى قصيدة « صوت الموتى » فى خبال وهجس ووهم كئيب ..... اسمعه يقول :

ألا إن للأموات صوتاً كأنه خرير المياه الجاريات على الصلد

ويحكى حفيف الغصن فى لين وقعه وطوراً كأصداء الطبول على بعد

ويعول أحياناً كإعوال ثاكل
رمتها صروف الدهر فى الولد الفرد

يئن أنين الريح عند خفوتها
ويعوى عواء الذئب فى المهمه القفر

ويصرخ أحياناً فيحكى صراخه
صراخ العباب الغمر فى لجج البحر

يئن أنين الليل إن هدأ الورى
وطوراً له صوت كحشرجة الصدر

ويكاد شكرى يختص بالموت والموتى فى شعره دون سائر الشعراء . فلقد بلغ فى تصوير الموتى وأحاسيس الأحياء حيالهم

obeikandl.com

مبلغاً عظيماً من صدق التعبير وقوة البيان . ولشكرى غير ماعرضنا من قصائد الموت ؛ قصائد «ضوء القمر على القبور» ، و« الموت والنخيل » ، و « النساء فى الحياة والموت »وسواها كثير ، وكلها من إرهاف الاحساس وبلبلة الوجدان وإدجان الخواطر بحيث لاتفترق عن اللون الذى عرضناه كثيراً .

. . .

يبقى بعد هذا الجانب الأهم فى شاعرية شكرى ألا وهو الجانب الرمزى ، وانى أعده المؤسس لهذا المذهب فى شعر هذه اللغة الحديث .

أنظر إليه فى قصيدته « معان لايدركها التعبير »إذ يقول :

كم من معان يود لو صاغها المر
ء وحلى بها وجوه البيان
هى ملء الضمير لم يبلغ اللف
ظ مداها ولم تذلها المبانى
كلما رام أن يعبر عنها
أنفت أن تنال بالآذان

فهى عذراء لا تحن لناء
وهى عذراء لا تلين لدانى

إلى أن يقول فى ختامها :

إن وأد الأبناء أهون خطباً
وأثاماً من وأد تلك المعانى
ذل من خاف لومة الناس فى قو
لة حق فلـــــج فى الكتمان

وهو كذلك فى قصيدة « الحاجات الممتزجة » تختلج فى نفسه أمور غامضة يحاول التعبير عنها فلا يكاد يبلغ غرضه إلا عن طريق الرمز والابهام ، فهو يقول :

كم حاجة للنفس ممزوجة بحاجة الجسم كخمر وماء
كذلك الحب به شهوة الجســـــم وروى للنفوس الظماء
ونفحة الزهر بها شهوة الأنـــــف إذا سيقت بريح رخاء

إلى أن يقول :

والحس باب النفس كم والج منه إليها بالحجى والغباء
إن عناء الجسم فى فعله يغرى بنفس المرء برح العناء
ورب داء والج جسمه يصاب عقل المرء منه بداء

وله فى « دفة قديمة » ملقاة على شاطىء البحر صورة رمزية حالمة يقول فيها :

لقد جار الزمان عليك حتى
حكيت عزيمة الرجل الضعيف
تصرفك الأكف وكل عزم
يؤثر فيه تصريف الصروف
وللأهواء فى الآراء فعل
كفعل فيك لليم المخوف
وما هجروك من عبث ولكن
(م) غايات الوسائل فى الحتوف
كذاك الناس مثلك والليالى
وسائل للقضاء وللصروف
كذاك العيش عيش الناس طراً
وسيلتهم إلى الأمل الصدوف

وهكذا عبد الرحمن شكرى شاعر رمزى غامض الصور فى الكثير من شعر الحالات النفسية ، وأكبر الظن عندى أن اضطراب نفسه وتقلقل خواطره هى السبب الأول فى غموضه

وكجنوحه إلى الناحية الرمزية ، ولكنه على كل حال لا يغرب كثيراً ، ولا يتعب الأذهان ولا يرهقها بحل الرموز المبهمة كما يعمد إلى ذلك بعض شعراء الفرنجة المعاصرين ، وإنما هو يحاول التوارى بالصورة التى فى ذهنه عن العقول بعض الشىء ، ولكنه على كل حال لا يختفى عنها تماماً . وهو فى قصيدة « كلمات نفس » يصور لك نفسه صوراً غامضة ممتزجة فى قوله :

طوراً أكون كبعض الهبا ء لج به العاصف الثائر
وطوراً أكون كذات القلو ع هم بها الهائج المائر
وطوراً أكون كأرجوحة يرجرجها طفلها الجامح
وطوراً أكون كغصن الجنى يميل به الثمر الصالح!

فهذه القلقلة الفكرية الصريحة من شأنها أن تبعث على الغموض فى التعبير ، وأحسب أن عبد الرحمن شكرى شاعر رمزى بطبعه وليس إلى التعلم والثقافة الرمزية سبيل إلى عقله الميال بطبعه الى الشعر الرمزى . وهو فى قصيدة (الصنم المكسور) يعطى صورة رمزية للحب الضائع المفقود فى قوله :

عابد يبكى على صنمه عاف ورد العيش من سقمه
عابد من حسنه صنماً خال كل الفضل فى صنمه
حطمته قولة فهوى كحطيم الجص منهشمه
كنت لى حلماً ألوذ به خاب من يبكى على حلمه !

إلى أن يقول :

كان قلبى معبداً لكم ويح قلب ريع من صنمه !

***

ليست هذه كل مظاهر شاعرية شكرى ، ولكنها أثارة منها . أما شاعريته فتحتضن الحياة جميعها ، وتصور الوجود بأسره ، لأنه شاعر عبقرى ، لا يقف دون التعبير عن شعوره حيال الكون كله . وهو وإن كان برز حقاً فى شعر الموت والجنون وفى الشعر الرمزى إلا أن ذلك لا يعنى أنه قصر فى قصائده العاطفية أو التصويرية أو الطبيعية ، فلشكرى فى كل باب شرف أى شرف ، وكفى أنه فى قصيدته (أبى الهول) أتى بصور بارعة استفاد منها المرحوم شوقى بك عند ما كتب قصيدته عن أبى الهول فيما بعد ! ولا يعيب شكرى شىء

سوى عدم الاحتفال بالموسيقى الشعرية فى بعض الأوقات وعدم العناية باللفظ ، وهو ما يعاب على أكثر المجددين .

ونحن نناشد شكرى أن يخرج عن صمته الطويل وينشر شعره الذى نظمه منذ خمس عشرة سنة تقريباً ، ونحن على يقين أنه مجموعة بارعة من الشعر القوى الجديد الذى سيغذى النهضة الشعرية الحاضرة دون مراء .

ابو شادى

نحن أمام شاعر قد اختلف فيه الناس اختلافاً كبيراً ، وتضاربت فى أمر شاعريته الآراء : فقوم يقررون شاعريته ويقولون إنه من أقدر شعراء الجديد ، وقوم آخرون ينكرون عليه هذه الشاعرية ، ويزعمون أنه لا يراعى حرمة اللغة ولا يحافظ على رونق الديباجة العربية . والواقع أن شاعراً كأبى شادى ، حقيق أن يثير مثل هذه الضجة ، ذلك لأنه فاجأ الطبع العربى فى جرأة عجيبة ، غير مكترث بما قد يصير من نتائج هـذه الجرأة العجيبة . والفكر الانسانى عامة والطبع العربى خاصة بطىء التحول كثير الابقاء على ما يسميه الناس بالتقاليد الموروثة والعادات المرعية ، شديد اللصوق بما ألفه فى الأجيال المتتالية ، فكل من تحدثه نفسه بالخروج عن ذلك المألوف يعرض نفسه لاستنكار هذا الطبع المحافظ ، حتى ولو كان فى خروجه الخير كل الخير لهذه اللغة الشريفة ! كان أبو شادى جريئاً جداً فى إخراج شعره الجديد على الناس فى هذا الزمان ، ولقد تقدمه قوم مهدوا لخطوته الواسعة

أحمد زكي أبو شادي

obeikandl.com

وأحقهم بالذكر الأستاذ خليل مطران الذى يقول أبو شادى إنه أستاذه ، بيد أن الواقع الذى لا مرية فيه أن حركة مطران التجديدية الأولى ، رغم ما أثارته من زوابع ومعاكسات من شيعة الطبع الجامد ، لم تكن فى جرأتها وغرابتها كحركة أبى شادى الأخيرة .

ولعل دراسة أبى شادى هى السبب المباشر فى هذه الجرأة العجيبة : فلقد نشأ أبو شادى نشأة الشاعر فى بيت علم وأدب ، ووهبته الطبيعة شعوراً رقيقاً وخلقاً رضياً ، وكان أن حن إلى الأدب حنيناً عظيماً ، ومال إليه بمجامع مشاعره . والحق أن فى شعر أبى شادى الكثير من روح أستاذه ، فيه هذا الحرص على الدقة فى المعنى ، وفيه هذه الثورة الواضحة على اللفظ والرنين الفارغ ، وفيه هذه العناية الفائقة بالناحية القصصية التى بعثها فى هذه اللغة الشاعر خليل مطران . ويستقل أبو شادى بعد ذلك بروحه الصوفية العجيبة ، وبقلبه العالمى الكبير ، وبحبه الشامل للطبيعة وما فيها من مفاتن ومباهج .

اختلف الناس وما يزالون مختلفين فى أمر هذا الشاعر كما قدمت ، والواقع الذى ليس إلى إنكاره من سبيل أنهم جميعاً

لم يتفقوا على رأى واحد فيه ، والحق أن أباشادى شاعر وشاعر بارز بين شعراء هذا الجيل . لقد كثر اطلاع أبو شادى على الشعر العربى قديمه وحديثه ، ولا يكاد يظهر فى السوق ديوان لشاعر من الشعراء حتى يكون أبوشادى أول قارىء لهذا الديوان ، ولقد طالع كذلك الشعر الفرنجى ونفذت معانيه إلى قلبه فى سهولة ويسر . ولم يقف إطلاع هذا الشاعر عند دواوين الشعراء فقط ، وإنما تعدى ذلك إلى التاريخ القديم والحديث ، وعنى عناية خاصة بتاريخ قدماء المصريين واليونان ، ثم درس أصول الأدب الاغريقى ، وذاكر مذاهب الفصاحة والبيان عندالأوربيين على اختلاف أنواعها مذاكرة مجدية موفقة .

يعيب البعض على أبى شادى إغفاله الرنين الموسيقى فى قصائده ويعيب عليه بعض آخر خروجه على قوالب التعبير التى اصطلح عليها الناس أو كادوا يصطلحون ، وهؤلاء وأولئك يظلمون الرجل أى ظلم ، فما كان لمثله وهو الشاعر الواقف على أحدث التيارات فى الشعر العالمى أن يتقيد بقيود الرنين وغيرها مما يزعم القوم أنها من ضرورات النظم العربى .

ويزعم فريق آخر أن أبا شادى ينهج فى شعره نهجاً أعجمياً لا يمت إلى النهج العربى بسبب. والباحث المخلص لا يسلم بهذه النظرة المخطئة، فعند أبى شادى ديباجة عربية ترتفع فى بعض قصائده إلى مرتبة الفحول المتقدمين، ومثل على هذا قصيدته «الشعلة» بديوانه المسمى بهذا الاسم التى يقول فيها:

أيشعل نيران التطاحن غاشم
ويغفل عن نشر الحقيقة عالم؟
هلم يراعى! ولتكن أنت شعلة
تضىء سبيل الرشد، فالرشد ناقم!

والحق الذى لا مرية فيه أننا أمام شاعر واسع نطاق الفكر جبار الخيال، والعرب قوم ضاق خيالهم لاستتباب حياتهم وهدوئهم ولتمتعهم بجو رائق ولاعتزالهم غيرهم من الأمم، على نقيض أهل أوروبا الذين يكابدون فى الأغلب عنت الأجواء وقسوة الطبيعة وضراوة المعيشة وإمحال التربة، فهم واسعوا الخيال لخوفهم ولعدم استقرارهم، ومن هنا راح القوم ينعتون كل شعر واسع الخيال بعيد التصوير غامض التفكير بأنه أعجمى! وما كان هذا الشعر بأعجمى كما يدعون، وإنما

هو شعر جديد على الشعر العربى الذى الفه الناس القرون الطوال : شعر فيه نفوذ إلى ما وراء القشور البيانية المصنوعة ، وفيه تغلغل إلى أعماق الغرائز والطبائع البشرية ، وفيه بحث عن تائه ضال ، وفيه نشدان الحقيقة الواحدة المتوارية عن الأبصار . ومجال الخيال فى كل ذلك مجال واسع لا يحصره حصر ، ولا يقفه تلاعب بالألفاظ ، ولا تجد منه البريق اللفظى الخاطف الخلاب . وهكذا أبوشادى لا يأبه للقشور ، ولا يقف عند بهرج الصناعة ، ولكنه ينحدر كالسيل الجارف من قلل الجبال ، حاملا معه الرمال الدقيقة والجواهر الكريمة ، وهو يكتسح كل ما يعترضه فى الطريق ، ثم ينبسط أخيراً على أرض الوادى فى هدوء ! شعره سيل عرم ، ما فى ذلك شك : فهو يتناول فيه كل ما وسعت الحياة من معان ورموز ، وينقل على لوحته بريشته السريعة الحركة صور العيش السافرة والمقنعة قاطبة ، وتجىء بعض صوره لذلك غامضة أو ناقصة الخطوط أو مظلمة الألوان ، ولكنها تبقى بعد ذلك كله ذات طابع خاص مستقل كل الاستقلال عن سواها من الصور التى قد تعترض سبيلك فى حياتك الخاصة .

والعجيب من أمر هذا الشاعر أنه يمزج الخيال بالواقع فى شعره الكثير مزجاً لا تحس معه اضطراباً ولا تلمس تنافراً . والواقع أن هذا الفنان يعيش عيشة يمزج فيها بين الحقيقة والخيال ، وما شعره إلا المعبر الصادق عن حياته جميعها فى أطوارها وظروفها المختلفة . وليس عبثاً هذا الانتاج الهائل الذى تفيض به هذه الشاعرية المسحة فى كل ظرف وفى كل مكان . وأقل ما يوصف به أنه مؤرخ صادق لحياة الشاعر الحقيقية : فهذا الشاعر لايقصر عن التعبير عن حالاته النفسية فى كل الأوقات ، ولايتردد فى النظم فى الترام أو القطار ، بل لايمتنع عن ذلك فى مشرب من المشارب العامة إذا أحرج أو اكتظت نفسه بالعاطفة وأحست بالحاجة إلى قرض الشعر ، ثم لايحجم بعد ذلك عن نشر كل ما فاضت به بديهته الكريمة فى الصحف والمجلات والدواوين غير مفضل قصيدة على أخرى ، فكل ما نظمه حبيب الى نفسه عزيز لديه .

عاب بعض النقدة على أبى شادى توزعه فى جهوده ، فقالوا : أنى يستطيع رجل واحد أن يقوم بأعباء عشرين من خيار الرجال ، وما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه ؟ ولهؤلاء أن

يستغربوا أن يقوم هذا الرجل باعباء هذه الاعمال المرهقة المتنوعة المقاصد ، المختلفة الاغراض ، ولكنهم لو عرفوا أنه طبع على هذا ، وليس إلى تغيير هذا الطبع من سبيل ، لخففوا بعض لومهم ولأقصدوا فى تعنيفه. وماذا يضيرهم لو حاولوا النظر اليه كما هو فى حالاته المتناقضة المختلفة جميعاً أو فى كل حالة منها على حدة ؟ ذلك أن هذا الرجل يعيش فى كل حالة من حالاته الكثيرة عيشة مستقلة واضحة المعالم والحدود ، وإن تعامى عن ذلك بعض المغرضين : فهو فى حالة نظمه الشعر شاعر ، وفى فحصه الميكروبات رجل العلم والحياة المادية الذى لا يعرف الشعر ولا يفهم الخيال وإنما يقيس الذرات الحية بمقياسه الدقيق الذى تتوقف عليه حياة أناس كثيرين ، وهكذا هو فى حالاته الأخرى الغريبة . فهذا رجل ذو عقلية جبارة دون شك ، يعرف كيف يضبط مشاعره ويكبت عواطفه فى مواقف خاصة ، كما يعرف كيف ينطلق معها إلى غير مدى محدود فى مواقف أخرى .

لست أنكر أن شيئاً من اللبس ربما اعتور شاعرية هذا الرجل حال النظم . ولكن هذا لا يضيره على الاطلاق ، وعذره فى ذلك توزع فكره ، وكثرة شواغله التى من شأنها أن تهدم

الفكرة وتقضى على العاطفة ، ولكنها لم تقو — ولله الحمد — على هدم هذا الشعور المتدفق تدفق السيل كما قدمنا .

قلت لك إنه سريع النظم ، فياض المادة ، غزير المعانى ، كثير الصور ، ومن هنا جاء اهماله الترصيع اللفظى الذى عاشت أجيال عالة عليه . ويخيل إلى أنه يحب أن يستوعب كل ما فى الدنيا من جمال فى رشفة واحدة ، ويبدو لك هذا النهم جلياً فى شعره جميعه ، وهو أبداً ظمآن إلى الفن ، لا يهدأ لحظة ولا يقر برهة ، شأنه فى ذلك شأن الفنان المرهف الاحساس ، المقلقل الوجدان ، وكثيراً ماتبدو صوره الشعرية مضطربة حيرى مبهمة فى بعض المواضيع ، وإن كانت دائماً مشتعلة بالمعانى

ويمتاز أبو شادى عن جمهرة الشعراء المعاصرين بأنه يعنى بالنظم فى توافه الاشياء التى يراها المرء فى كل مكان وزمان وقلما يعيرها التفاتاً ، أو يكد ذهنه فى التفكير فيها ، فجميع الكائنات والظواهر الكونية عند أبى شادى سواسية لا اختلاف عليها ، ولا تفريق بينها ولا تفاوت ، فكلبه وقطه ودجاجه ونحله كل أولئك لها قصائد عزيزة لديه حبيبة إلى روحه ، وهو ينظر إلى هذه الاشياء نظرة الفيلسوف المحب المتفائل على الدوام

ويتعب الناقد الأدبي الصادق إذا حاول أن يضم أبا شادى إلى مدرسة من مدارس الشعر العصرى : ذلك أن أباشادى مدرسة مستقلة عن المدارس المألوفة ؛ وإن جمع فى شعره خصائص كثيرة معروفة بين المدارس المختلفة . بيد أن المدرسة التى نلحقه بها ، إذا اضطررنا إلى ذلك ، انما هى مدرسة « الواقعيين » المعبرين عن حقائق الحياة فى صور صادقة من العاطفة والفكر المهذبين فى بعض الأحيان ، والساذجين فى أغلب الظروف . وشعراء هذه المدرسة من شأنهم أن يظهروا الكون فى جماله وقبحه وقوته وضعفه ، غير عامدين إلى زخرفة اللفظ أو رصف الاستعارات البيانية الصناعية ، وقصاراهم أن يتناولوا المعنى من أقرب مورد ، فيصبوه فى قالب من اللفظ السهل المعبر .

وأبو شادى جرىء فى التعبير عن أفكاره جرأة أحسب أنها لم تتيسر لشاعر فى هذه اللغة بعد ، فهو يطرق مواضيع لم يطرقها قبله أحد فيما نعرف ، ويتحدث عن جسد المرأة حديثاً جديداً على هذه اللغة ، يتحدث عنه فى تصوير قوى تحدوه فى ذلك عاطفة قوية وشهوة غلابة طهرتها النظرة النفسية الخالصة من أدران المادة الدنيئة وجعلت منها عاطفة صوفية عالية ، فيها عبادة وفيها صلوات .

وأحسب أن أبا شادى يشبه الشاعر الانجليزى لورانس فى هذه العبادة الجسدية الجديدة التى كادت تشيع فى أوربا هذه الأيام ،وأخذ الناس يؤمنون بها عن سبيل آثار الادباء والشعراء . فاللذة الجسدية والغرائز الغلابة لابد من إرضائها ، إذ الويل كل الويل فى كبت المشاعر الجنسية وإغفال شأنها ، بينما تسعى إلى إرضاء الحواس والمشاعر المعنوية بالدرس والاطلاع والتحصيل الثقافى . ولعل دؤلاء القوم على شىء من الصواب فيما يذهبون اليه : فالحياة الآلية التى نحياها فى هذه الأيام من شأنها أن ترهق الصحة وتغل الأبدان وتسمم الأرواح . فلا أقل من الترويح عن هذه النفوس المأزومة والاجساد المعلولة بشىء من التمتع الجسمى المحبوب . وأصحاب هذا المذهب يرون أن الكذب والرياء وادعاء الفضيلة بالباطل أمور لاتغنى ، ولكنها تؤذى النفوس وتقود إلى المرض والهزال ، كما تعود على المرء بالتسفل الخلقى الذى يجب أن يترفع عنه كى يعيش عيشة قوية على أساس المصارحة، ولن يتم له ذلك أبداً إلا إذا تقدم ثابت القدم ومتع جسده متعة كاملة صادقة ! ومن يقرأ شعر أبى شادى تتجلى له هذه الحقيقة الغريبة ؛ وهذه قصيدة « الجمال العربيد»

تصور أمثلة الشعر الجسدى الجديد على هذه اللغة . أنظر اليه كيف يتردد فى التمتع بجسد الحبيبة ، ثم يتشجع ويقدم على المتعة فى قوله :

هـذا النعـيم أراه رأى العين لـكنى أخاف!
فيم التخوف والحيـاة جميعهـا روع أطاف ؟!
خذ يافؤادى لاتخف ما شئت من هذى الحياه
عمر جديد يا فؤادى ما تجود به الشفاه !

ثم يتحدث بعد تمتعه ، عن ظمئه الخالد وجوعه الأبدى وحنينه إلى الجمال الجسدى ، وشراهته ونهمه فى اللهو بالاشعة والظلال الجنسية فى قوله :

لا الروح تشبع ، لا ، ولا قلبى بخفق يتئـد
نهم على نهم وجود لا يمل ولا يحد !
حتى إذا سقط الردا ء وقد يراد سـقوطه
هرع الهوى للحسن يحمى ملـكه ويحوطه !

ولعل القارىء قد أحس بمتعة روحية أو جسدية صادقة فى هذه القصيدة الجديدة على الشعر العربى ؛ فما نعلم أن شاعراً قبل أبى شادى كانت له مثل هذه الجرأة فى التعبير عن مشاعره الجنسية ،

هذا التعبير الذى تمتزج فيه الشهوة الساذجة بالفكر والخيال الناضجين ! ولن نذهب بعيداً إذا قلنا إن هذه القصيدة هى وشقيقتها « ليلة فى المعبد » تمثلان مدرسة وعهداً جديدين على الشعر العربى الحديث . ولا يعكف أبو شادى على عبادة الجسد وحده عبادة مجردة من التأمل ، بل هو يروح يمزج حنينه إلى الجسد بالقلق الصوفى المبهم كما سبق أن ذكرت لك آنفاً ، وهو فى بعض الاحايين يختصم مع هذا الحنين اختصاماً عنيفاً ، فيقول :

سئمت كل غرور أستعز به
واشتقت ما يشتهى الصوفى من زمنى

وهو يريد مخلصاً أن يتطهر من أدران الجسد فى حالة شاذة من حالاته الصوفية فيقول :

أرسلت روحى حرة بين الاغانى والضياء
حتى أراها مرة تحيا حياة الأنبياء

. . .

يتألم الناقد الأدبى لخلو شعر هذه اللغة من التحدث عن الطبيعة ، كأن طبيعة هذه البلاد من الفقر والاحال بحيث يتناساها الشاعر ويهمل أمرها فى نظمه ، والواقع أننا لا نفكر فى اعتدال واستقامة ، وإن كنا ندعى ذلك إدعاء لا تسلم به أعمالنا الفنية .

ولقد كتب أبو شادى فأسهب عن الطبيعة فى شعره الكثير ، ولعل من أسباب ذلك الاسهاب أنه ولوع بالمرأة ، نزاع إلى حبها روحاً وجسداً . والمرأة جزء من الطبيعة الكبيرة ، فعناية أبو شادى بالطبيعة جاءت إثر عنايته بالمرأة أو متممة لها . فقصيدته « الغروب الثائر » فيها عناية بالطبيعة قلما نلمسها عند سواه . اسمعه يقول :

يا ثورة عند الغروب لمحت فيك فؤادى
هذى دمائى استنزفت وعلى السماء حدادى
كم فى السماء شعور هذى الأرض فى ماضى القرون
كم تعكس الأقدار فى صفحاتها صور الجنون
صور العواطف وهى قتلى من جنون الحادثات
ويكاد هذا الأفق يصرخ من تصاريف الممات

وهو يمتزج بالطبيعة امتزاجاً كلياً ، وهذا شأنه فى قصيدته « الشروق الهادىء » التى يقول فيها :

صور تمحى وأخرى تراءى فى انبثاق الضياء بين الظلال
والعصافير هاتفات بألحانى هتاف الخشوع نحو الجمال

أم أرسلت دعاء مجاباً
ولكل لغى وروح ابتهال
مثلت فى الطيور والزهر والنبت
وفى الماء والحصى والرمال
أنشدت دعوة الصباح فلبى
ذلك الصبح من إسار الليالى

فى هاتين القصيدتين بساطة وسذاجة فى التعبير وأمانة فى نقل الصور ، حتى يكاد المرء يحس هدوء الشروق وثورة الغروب .

وهناك جانب آخر يمتاز به أبو شادى عن سواه وهو عنايته بالأطياف والأشعة والظلال ، وقد سبق أن نوهت بقدرته على رسم الأطياف فى كلمتى التى ظهرت ضمن كتاب (أبى شادى فى الميزان) منذ عام تقريباً . أنظر إليه يقول :

أعيش ببسمة وأعد زادى أشعتها وأشربها مدامى !

ويقول :

خبأت أغانى الحب تحـ ـت وسادة بسريرها

فكأنما خبأت بها روحاً تحن لنورها !

ويقول :

وحلى من النوار ألثمها كما لثم الصباح النور من عينيك

ويقول :

فلثمت ألوان العزاء بوجيها
لثم الضرير النور فى الظلمات

ويقول :

النور مسكوب رشيق كالصفو فى دنيا الهموم

ويقول :

خذ قبلتى أخذ المنى من كل أطياف الربيع
فيها الحرارة والسنى فيها البشاشة والدموع

ويقول :

أبينا النور فالقبلات شعلة مهجتى الحرى
ولم أحفل بصوت الوقت أو بهواجسى الحيرى

وقوله :

وأشرب هذه الألوان من نور يداعبنى

فى هذه الأبيات المقتطفة من قصائد الشاعر ترى إلى أى

مدى يشغل ذهنه الضوء والظل والطيف ، ولو راجعت دواوينه لرأيت الكثير من شبيهات هذه الأمثلة ، ويظهر أن لدراسته العلمية للضوء أثراً كبيراً فى توجيهه فنياً إلى هذه الناحية التصويرية الجديدة .

• • •

وبعد هذا ، فأبو شادى فنان بما فى الكلمة من معنى ، يؤمن بالفن إيماناً صادقاً ويعتقد مخلصاً أنه من ضرورات العيش بالرغم من كونه قد نشأ نشأة علمية محضة : ذلك لأن له شخصيات مختلفة تستقل الواحدة منها عن الأخرى تمام الاستقلال كما سبق أن ألمعنا ، كما له ماله من وراثة أدبية

وفنه هذا من الجمال والجمال وحده ، فكل ما جمل من المظاهر الكونية خليق بعناية الفنان والتفاته الكامل . ومن هنا جاءت عنايته بالمرأة التى يعدها صائنة الجمال ومستودع البهاء وينبوع الفتنة الخالدة . اسمعه يقول :

لبيك قد يخلد المعبود فنان كلاهما خالق للخلد ديان

ولو عددنا حياة الحسن زائلة

فليس يرضى فناء الحسن فنان

وهو يحاول دائباً أن يتخلص من أدران جسده ويتجرد

من حواسه كيما يعيش عيشة طهر خالصة للفن وحده ، متخذاً أشعاره منفى له ومثوى :

نعم منفاى أشعارى وملقى النور والنار
كأنى مذ ولدت حيـيت فى يقظات قهار

...

وأبو شادى مكثر فى شعره ، ما فى ذلك شك ، ولكننا لا يمكننا أن نلومه على هذا الاكثار ، وإنما من حقنا أن نطالبه بشعر عال ، والمطالع لدواوينه يجدها حاوية لكثير من الشعر الجميل العالى .

ولأبى شادى محاولات جريئة فى شعر الاوبرا التمثيلية ، مثل « الزباء » و « أردشير » و « بنت الصحراء » و « أخناتون » و « الآلهة » ، وإن كنا لانعرف مكانتها المسرحية لانها لم تمثل على المسارح بعد ، ونحن نرجو ذلك اليوم الذى يتاح لها الظهور فيه حتى نستطيع أن نحكم عليها من هذه الناحية الفنية .

وصفوة القول إن أبا شادى شاعر بارع الصور ، محيط بكل ما فى الكون ، ناضج النظرة ، ثاقب الفكرة ، شرد العاطفة ، مرهف الاحساس إلى أبعد حد ، لايكترث باللفظ ، ولا يعنى به عناية المتعبد ، وإنما يجعل همه العناية بالمعنى عناية دقيقة

obeikandl.com

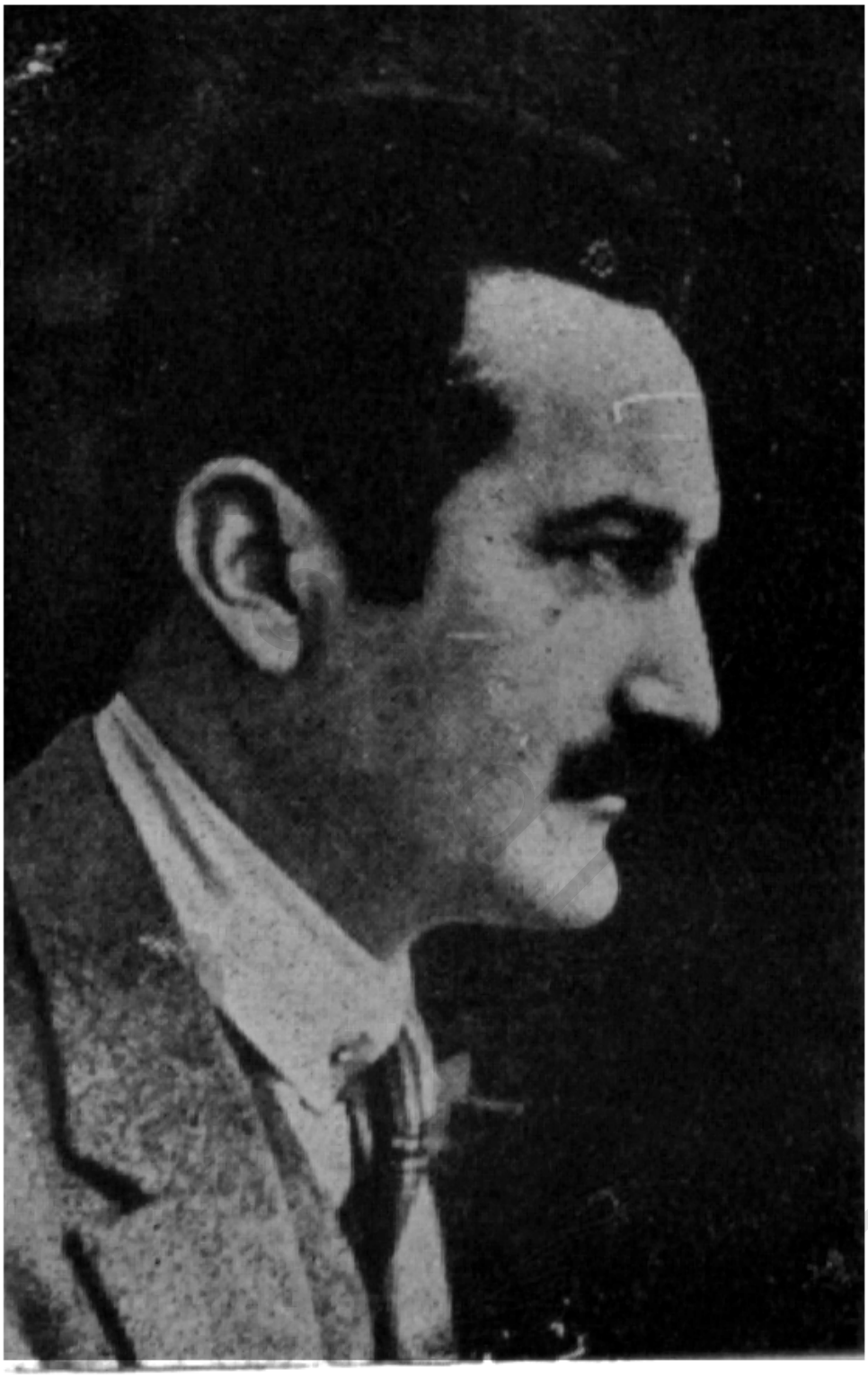

عباس محمود العقاد

العقـــاد

هذا الشاعر واحد ثلاثة نشأوا فى بيئة أدبية واحدة ، وزميلاه هما عبد الرحمن شكرى وابراهيم عبد القادر المازنى . تدارس هؤلاء الرفاق الأدب معاً ، وواظبوا على المطالعة واتجهت آراؤهم الأدبية ونوازعهم الثقافية اتجاهاً واحداً .

والغريب من أمر هذا الشاعر أنه صنع نفسه بنفسه ، فلم يكن على حظ من الثقافة والتعليم المنظم ولا من الانتاج الأدبى الممتاز حين عرف رفيقيه ، وإنما كانت له معلومات عامه حصل عليها من اطلاع لا بأس به على الأدب العربى . وأثر صديقيه شكرى والمازنى فى اتجاهه نحو المطالعة الافرنجية غير منكور ، وما أحسب هذا ضائره مطلقاً فان فضلهما عليه لم يعد التوجيه الثقافى و النقد الأدبى ، والفضل فى نجاحه فيما بعد إنما يرجع إلى همته العالية ، ونفسه الطموحة المتوثبه المتطلعة إلى السمو والابداع فى الأدب . والحق ان جهاد هذا الشاعر فى سبيل الحصول على ثقافة حرة واسعة النطاق ، جهاد

مشكور ، يحمده له كل من طالع سيرة حياته : فهو يتصل بصديقيه وهما على درجة محترمة من النبوغ الأدبى والثقافة المدرسية المنتظمة ، فلا يزال يكافح ويكد واصلا الليل بالنهار فى البحث والاستقراء والتقصى حتى أصبح بعد قليل جديراً بزمالتهما ، ثم صار بعد ذلك بزمن وله شخصيته الظاهرة ونظرته المنطقية المستوية .

وثقافة العقاد مزيج من العربية الصادقة والانجليزية القويمة ، شأنه فى ذلك شأن صديقيه شكرى والمازنى . ولعل من الانصاف أن نقول هنا إنهم كونوا مدرسة واحدة ، واضحة المعالم ، ظاهرة الحدود ، جليلة الاغراض . ولقد يجد الناقد الادبى المحاص شيئاً من الصعوبة فى التمييز بين أصدقاء عاشوا فى بيئة واحدة عيشة ممتزجة متحدة ، يدرسون معاً ، ويفكرون سوياً ، وينظرون إلى الادب والفنون نظرة واحدة لا اختلاف عليها . بل ، ولقد تقرأ القصيدة لشكرى فتظن أنها من نظم العقاد أو من نظم المازنى ، وهكذا يكون شأنك لو طالعت قصيدة من قصائد المازنى أو العقاد ، ولقد كانوا

ينظمون معاً فى لموضوع الواحد بل وفى البحر الواحد والقافية الواحدة قصائد قد يجىء فى معانيها شىء كثير من توارد الخواطر . وكيف يسلم شعر أصدقاء كهؤلاء الاصدقاء من توارد الخواطر . وهم يفكرون معاً ويقرؤون معاً ، فكأنهم قلب واحد أو ذهن واحد متنقل بين أبدان ثلاثة ؟! ويمكننا أن نعثر على أصدقاء كهؤلاء الاصدقاء فى صدر القرن التاسع عشر الميلادى فى انجلترة : أجل ، هنالك كيتس وهنت ، وشيللى وبيرون ، وسواهم كثيرون . والصداقة الادبية المتينة فيها فائدة أى فائدة ، ولا يستطيع أحد أن يجحد فضلها أبداً .

ذكرت أن الثلاثة ، شكرى والمازنى والعقاد ، قد اتفقوا فى المشرب اتفاقاً كبيراً ، وقلت إنه من الصعب التفريق بين خصائص كل منهم ومواهبه ؛ ولكن الناقد الادبى المخلص فى مكنته التفريق بين هاتيك الخصائص الفردية التى يختلف فيها الواحد عن الآخر .

ظهر لنا من دراسة شكرى أنه شاعر متطير متشائم ينظر إلى الحياة نظرة سوداء ويبرم بالدنيا وبالناس ، ويسخط على الوجود والعيش ، ويحب الموت ويود أن تنتهى حياته ويخلص

من قيد البقاء الكريه . أما العقاد فساخط كذلك ، برم بالحياة ، ولكن تسخطه وبرمه لا يذهبان برشاده وهداه جميعاً ، وإنما هو يعلم أنه ليس فى الامكان أبدع مما كان ، وهو يرى أن الصبر على مكاره العيش نوع من الفلسفة المحببة . وله فى ذلك كله فلسفة هادئة رغم ثورتها الكبيرة الظاهرة . أما المازنى فلسنا بسبيل الكلام عن شاعريته ، مادام قد برىء هو من هذه الشاعرية وأعلن أنه ليس بشاعر ، وإن كان هو فى الحقيقة شاعراً بالرغم منه !

ولعل من أظهر الادلة وأوضحها على صدق ما قلناه من أن فلسفة العقاد هادئة راضية قانعة بالعيش على مضض — على نقيض فلسفة شكرى البرمة الساخطة — قصيدة العقاد إلى عبد الرحمن شكرى وهو بالاسكندرية والتى جعل عنوانها (إلى جار بحر الروم) ، فهو فى هذه القصيدة يحض شكرى على فك أغلال الزمان ، فى تفاؤل عجيب ، ويشكو إليه زمنه شكوى كلها إباء وعزة ورضى عن العيش وقنوع بما فى الحياة من جمال تزجيه الطبيعة الحسناء . اسمعه يقول :

يا جار بحر الروم ! مالك صامتاً ؟
هلا اقتديت بموجه المتجدد ؟ !
غضبان من لؤم الحياة ، وأنها
أمة ولكن مالها من سيد
فليسلينك فى جوارك خضرم
غضبان يقذف باللغام المزبد
إنى ألب بموطن لو أنه
قفر لاطربنى صغير الفدفد
تمضى الشهور وفى الجوانح لوعة
تمشى على كبدى كحز المبرد
أشكو الزمان الى القريض وتارة
أشكو القريض الى الزمان المعتدى
فاكتب على هذا الزمان ذنوبه
إنا نؤجله الحساب إلى الغد
واضحك فان قالوا تضاحك قانط
فاضرب لهم مثل الغمام المرعد
تالله لو علموا لكان مكاننا فيهم أعز ، وكيف علم المقتدى ؟ !

فى هذه القطعة على صغرها تتمثل كل فلسفة العقاد ، وتكمن نظرته الشاملة إلى الحياة ، تلك النظرة الثائرة الهادئة ، الطامعة القانعة ، التى ترضى بما قسم لها اليوم «مؤجلة حساب الزمان المذنب إلى الغد» !

وهو يضن بالحياة ولا يعدل بها شيئاً ، ويبقى عليها ابقاء كبيراً ، على نقيض شكرى الذى يبكى ويستسهل الموت فى سبيل ارضاء معشوقته ، أو يحاول التخلص من حياته لخيانة عشيقة أو لعقوق صديق ! فاسمع العقاد يقول فى قصيدته «الخيبة» مخاطباً الدهر :

انا قربنا الرزايا من مدامعنا
وقد نضين ، فماذا تشتهى بدلا ؟

وقوله :

اذا اطمأن إلى الباساء صاحبها
فأهون الحال ما تدعونه فشلا

وهكذا يرضى بالفشل ويقنع به ، ولكنه لا يفكر فى الموت كما يفعل شكرى فى مثل حالته .

وللعقاد قصائد وجدانية تلحظ فيها سخطه وتبرمه هادئين

كما قدمت ، ومن هذه القصائد قصيدة « يا كتبي » إذ يقول :

يا كتبي ! ألبست جلدي الضنى
لم يغن عني جلدك المذهب !
كم ليلة سوداء قضيتها
سهران حتى أدبر الكوكب
كأنني ألمح تحت الدجى
جماجم الموتى بدت تخطب !

ويختم هذه القطعة الوجدانية المشتعلة بقوله :

لا رحم الرحمن فيمن مضى من علم العالم أن يكتبوا !

وله قصيدة اسمها « كأس على ذكرى » فيها الكثير من الأبيات الوجدانية البارعة ، ومنها يقول:

يا نديم الصبوات ! أقبل الليل ، فهات !
واقتل الهم بكأس سميت كأس الحياة
خرب القلب فعمره بخير الساكنات
خمرة تملأ قلبي بقديم الذكريات
وشجي النغمات وجني الثمرات

ويبدو لي أن العقاد معجب بهذه القصيدة التي صاغها بسهولة بنائها

وجميل موسيقاها ، ولذلك عاد فأحياها فى (هدية الكروان) أخيراً ضمن قصيدته « كلماتى » وهى من نفس البحر والقافية ، يكاد يكون العقاد موفقاً توفيقاً كبيراً فى قصيدته من حيث البناء والمعنى .

***

ويلوح لى أن العقاد لم ينل نصيبه من متع الحب العذرى الصادق فى فجر الشباب . ولعل نشأته المعسرة وحياته المضطربة هى السبب فى اخفاق هذا الحب ، ولذلك لا نظفر له بشعر عاطفى يتعادل مع شعره الوجدانى الفلسفى أو الوصفى إلا فى دواوينه الأولى أيام كان شاباً مشتعل الوجدان ، وليس أدل على ذلك من قصيدة « داونى » التى تلمح فيها عاطفة طيبة ولهفة وحنيناً لاغبار عليهما . اسمعه يقول :

داونى يا طبيب واعرف داوئى
لست أبغى الشفاء كل الشفاء
داونى واقتصد ، ففى البرء لوكا
ن سقامى ، وفى السقام دوائى

إن دائى كالسهم أنشب فى القلـ
ب وكالسهم قر فى الاحشاء
لبثه موجع، وأوجع منه
نزعه، والهلاك فى الابطاء
داونى أيها الطبيب! أما داويـ
ـت مثلى من مثل هذا البلاء
واشف قلبي ألست أول شاك
فوق هذا الثرى وتحت السماء

إلى آخر هذه القصيدة العاطفية الجميلة، والغريب أن بعض معانى هذه القصيدة فى الشعر العربى القديم ومع ذلك فقد عرف العقاد كيف يصوغها ثانية فى ثوب جميل من اللفظ الرصين.

وله قصيدة تحت عنوان «نفثة» أعترف أنها من أجود شعر الوجدان والحب، يقول فيها:

غربوا قلبي وهم وطن ومضوا عنى وما ظعنوا
واستقلوا حيث لا رسل تبلغ المسعى ولا سنن
أين منا دار وصلتهم؟ قربت لو أنها مدن
دارهم لا قوضت أبداً عزة فى ظلها سكنوا

أى فردوس علمت به لم يحطه الموت والاحن ؟
هذه الجنات نبصرها هل لنا فى بعضها وطن ؟

ثم يخرج شيئاً فشيئاً عن الموضوع الغزلى وينحى على الزمن قائلا :

زمنى جوزيت يا زمنى أى بأس فيك لا يهن
ما الذى أبقاه لى زمنى غال صفوى كله الزمن
ليس لى من مبصر أمل كل شىء فيه لى شجن
ما الأمانى ؟ إنها خدع ما الغوانى ؟ إنها دمن
ما الصداقات التى زعموا ؟ إنها البغضاء تؤتمن
ما العلا ؟ ما المجد فى أمم مجدها بل ربها وثن ؟
ما السجايا الغر ؟ وا أسفاً إنها حلم ولا وسن !

وهكذا تتدفق ثورة الشاعر على الكون والزمان والحياة وما وسعت من كائنات . وفى قصيدتيه «مولد الحب» و«موت الحب» صورة قلقة للحب فى ساعة ابتدائه وفى ساعة انتهائه وفنائه ، عارضاً شجى قلبه ولوعة وجدانه عرضاً لا بأس به، وكذلك شأنه فى قصيدة « الصنم الهاوى »

ولعل أروع قصائد الغزل التى نظمها العقاد هى قصيدته « غزل فلسفى » التى ظهرت فى (وحى الاربعين) وفيها يبدو الشاعر المحب فى مسوح الفيلسوف . ولقد وفق العقاد الى حد بعيد فى نظم هذه القصيدة بحيث جاءت حاوية لصور كثيرة من صور الجمال الشعرى . ولا يجد الناقد الأدبى المخلص فى هذه القصيدة فلسفة حقة كما يزعم العقاد ولكنه يجد جمالا شعرياً ، فهذا الغزل إلى الشعر الصوفى المتجرد أقرب منه إلى الشعر الفلسفى . اسمعه يقول :

فيك من شمس الضحى العين التى
ترسل اللمح مضيئاً فى الظلام
فيك من بدر الدجى أحلامه
حين يسرى نائماً بين نيام

• • •

فيك من كل ربيع طلعة
تثبت النظرة عاماً بعد عام
والشتاء الجهم لا يعدوك من
عهده العاصف برق وغمام

إلى أن يقول :

فيك منى ومن الناس ومن
كل موجود وموعود تؤام
كيف بى أعذل إن أغنيتنى
أنت حتى عن شرابى والطعام

إن نفوني اليوم عن دنياهمو وأباحوا لى عن الزاد المرام
ثم قالوا ما تشا منها نخـذ قلت هذا، وعلى الدنيا السلام !
قلت : هـذا ، وتقدمت إلى هوة الغيب وفى الثغر ابتسام !

لا يرى القارى فى هذه القصيدة فلسفة وإنما يرى تفكيراً قوياً ، ومعانى بارعة ، ولقد وفق العقاد فى نظمها توفيقاً كبيراً .

وله قصيدة « حسرة مقلقة » فيها حنين وفيها شهوه غالبة . اسمعه يقول :

يا له من فم يالها من شفه
يا لشهد بها كدت أن أرشفه
يا لزهر بها كدت أن أقطفه
حلوة ويحها ! غضة مرهفه
حسرتى بعدها حسرة متلفه !

ولـكننى أذهب بك إلى قصيدة غزلية رزينة هادئة للعقاد وقد اتخذ له سمة الشعر الرمزى القصصى وجعل عنوانها « سعادة فى قمقم » وأرى أن أنقل هذه القصيدة كلها لما فيها من جمال فنى وإحكام نظمى :

هنا قمقم سابح فى الدم أسـائل عنه ولم أعلم

جهلت خبـاياه حتى أتى عريف الطلاسم بالمعجم
ففيه كما قيل مسجونة سـعادة بعض بنى آدم
تجن جنوناً بنور الضحى وتذبل فى حبها المظلم
وقد زعموا أن إطلاقها رهين بهمسة ذاك الفم
بسر على شفتى فاتن يباح إلى شـفتى مغرم
فهل أنت مطلقها منعماً فديتك ، أم لست بالمنعم ؟
وما أنت بالمشتهى قبلة ولا بالحريص على مغرم
ولـكنما أنا أبكى أسى لتلك الشهيدة فى القمقم !

وأرى أن العاطفة فى هذه القطعة قد شابها شىء من التفكر ، ولعل ذلك جاء من تقدم السن به ونضوج نظرته الفنية والعاطفية ولـكنك تعثر على العاطفة الخالصة فى « الحان والمسجد » و « النعيم المفقود جحيم موجود » وفى أمثالها من شعره .

• • •

وجه العقاد عنايته نحو الشعر القصصى والمنولوجى فـكتب فيه بعض قصائد قيمة ، منها « غادة أثينا » « وأكاروس » . وهو فى الاولى يتناول الناحية العاطفية المثالية الموهومة الممتزجة بالتاريخ الصحيح ، أما فى الثانية فهو يعتمد

على المثولوجيا الاغريقية فيروى لنا قصة وردت فيها . والواقع أن العقاد فى هاتين القصيدتين لا يعجبك بقدر ما أعجبك فى قصائد الوجدان والعاطفة والتفكير ، ولعل ذلك راجع إلى اصطناعه اللفظ العظيم الدوى أو الغريب الاستعمال فى بعض الأحيان ، غير منتبه إلى جمال الالفاظ السليمة السهلة والفصيحة المشرقة خصوصاً فى الرواية والقصة .

. . .

يجىء بعد ذلك باب هام من أبواب شاعرية العقاد يكاد يتفرد به دون سواه ، أو قل فى معنى آخر يكاد يكون المبرز فيه بين جميع من تعرضوا له بالنظم : ذلك هو باب « الشياطين » . والحق أن نفس العقاد المأزومة فى شرخ الشباب كان لها أن تنفس عن همها وتخلص من بعض همومها ، وهى نفس مثقفة واسعة أفق التفكير ، كثيرة الحساسية ، فلا أقل من كتابة آلامها فى القريض . وهكذا عرف العقاد كيف يتخلص من بعض خواطره المؤرقة فى قصيدته « ترجمة شيطان » ، وما أحسبها سوى ترجمة إنسان من الاناسى الذين يعيشون بين ظهرانينا .

وفى هذه القصيدة أو القصة كثير من الجرأة ، بيد أن فيها

الكثير من الصدق كذلك ، فهذا الشيطان الذى ترجم له العقاد هو كل واحد من الناس ! فمن الذى أوقفه الطمع عند حد ؟ ومن الذى عرف قدر نفسه وفهم أنه مخلوق ضعيف يتصرف فيه خالق كامل مبدع ؟ لو كان فينا من يفهم ذلك ويتدبره حق التدبر إذن لما رأينا هذا الجرأة فى عصيان الله ؛ والخروج على أوامره وأحكامه ولما اتبعنا طريق الشر :

بيد ان الشر ما زال أريبا
وسبيل الغى ممهود الجناب
لن تراه حيث تلقاه غريبا
أبد الدهر ولا تزر الصحاب

وهذا حق جميعه رغم شناعته وبشاعته . ويعجب القارىء من جرأة التعبير فى قوله :

أيها المولى ! ولا تغضب على عبدك العاصى إذا لم ترضه
عبد سوء رفض الخلد فلا تبل بالجود قصارى رفضه !
لا تعاجلنى بلوم ! إننى قائم عنك بلومى وانتقادى
أنا من ينصف من يقرفنى ونجى الذم منى لايصادى

كم عهدنا جاهلا فى ملكه يحكم الناس بما لا يفقهون
يوبق السائل عن مسلكه ويبيح الأمن من لا يسألون

ويجرى فى هذا الكلام عصيان صريح ، ولكنه أثر للتشكك الذى يدهم النفس المكروبة ويطغى على الروح المحروبة ، ولها العذر . وهذه القصة من أحسن ما نظم العقاد اطلاقاً .

وللعقاد بعد ذلك قصائد أخرى فى الشياطين منها « سباق الشياطين » و « عيد ميلاد فى الجحيم » و « ابليس ينتحر » ، وهو فى عيد ميلاد فى الجحيم شاعر متهكم واقف على أسرار الدنيا كلها . اسمعه يقول :

هذا الجحيم أحب لى من عالم
ما كان لى إلا رجاء خابا
الشر ثمة كان شراً كاسمه
والخير كان كما علمت سرابا

ويصف فى « ابليس ينتحر » الدنيا وقد خلت من الخير والناس وقد تمادوا فى الضلال والآثام حتى أصبح كل منهم إبليسا :

واستغنت الأرض والسماء معا
عن الشياطين فانطووا جزعا

ماحاجة الأرض للأبالس فى
عهد نضا الخوف عنه والجشعا؟!

ثم يقول على لسان إبليس :

أتى زمان أموت فيه أنا
أبليس يأساً ، وفى يدى صنعا

ودعت ملك الدنيا وودعنى
ملك اذا هم قلما رجعا

هاتوا لى الخير جرعة فاذا
ضعفت عنه شربته جرعا

سأسبق الموت حين يتبعنى
فانه لاحق اذا تبعا !

• • •

والجانب الوطنى عند العقاد جانب ضئيل جداً بالنسبة لجوانبه الأخرى ، ولست أدرى كيف كان ذلك والعقاد رجل متصل بالحركة الوطنية ! ولكن يقال إن له قصائد وطنية لم تنشر لظروف سياسية خاصة ، ولكننا لانستطيع أن نحكم على شىء لم نره . هذا والقصائد التى نظمها العقاد فى الوطنية قصائد رصينة

ملتهبة العاطفة تشرف الشعر العربى الحديث .

• • •

والرأى أن العقاد — بالرغم من المآخذ التى أشرت اليها من قبل فى هذا الكتاب وفى غيره — شاعر واسع الاغراض ، بعيد الخيال ، رائع الافكار ، غواص فى طلب المعانى ، وهو متى أجاد يروعك ويستثير اعجابك . والذى يؤخذ عليه بعد ذلك هو عدم طلاقته ، وتأثره الواضح بمطالعاته ، ونظمه الفكرى ، وقسوة اللفظ وجهامته ، وغموض المعنى فى بعض القصائد ، وأحسب ان اللغة ماكانت لتسع المعانى التجديدية الكثيرة فاذا غمض المعنى أو التوى اللفظ أو تعقد التعبير فشفيعه ارتقاء الصور الشعرية عنده . والحق ان الشعر العربى قد كسب كسباً عظيماً بشعر شكرى والعقاد ، وإذا كان شكرى قد اختصر الطريق وأهمل نشر آثاره فان العقاد مايزال ينفح المتأدبين فى العالم العربى بدواوينه التجديدية القيمة ، وقد أصبح بانتاجه الممثل الباقى لتلك المدرسة الثلاثية فى وقتنا الحاضر ، وإن كان شكرى قد تزعمها منذ بدايتها وأشرف على تكوينها وتعهدها زمناً طويلا .

تصويبات

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٧	١٦	طهر	ظهر
٨	١٢	ولـل	ولعل
١١	١٢	ويستمطرون	ويستمطروا
١٢	٢	لاقتصادى	الاقتصادى
١٥	١٠	الحزء	الجزء
١٧	١	جمالهما	جمالها
١٧	١٦	المـُلوفة	المألوفة
١٨	٧	وأشتد	واشتد
٢٠	٨	القراىء	القارىء
٢١	١	قدر	قذر
٢٢	٥	الفطرة	النظرة
٢٢	١٠	لتهيم	ليتهم
٢٢	١٨	محركه	يحركه
٢٣	١	دماهاء	دماءها

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٢٣	٣	وتستعل	وتستعلى
٢٣	١٦	مستتره	مستترة
٢٤	٤	والتسخط	والسخط
٢٥	١	أو أهل	أواهل
٣٠	١٣	تخرج بها	تخرج منها
٣٤	٨	مثبوت	مبثوث
٣٥	٨	لانسانى	الانسانى
٣٧	٦	على معانى	عن معانى
٣٧	١٤	فو	فوق
٣٩	١٢	أحرقه	أحرقة
٤٠	٩	تراه	نراه
٤٤	١٧	هى	هما
٤٥	١	وكجنوحه	وجنوحه
٤٥	٢	ثيراً	كثيراً
٥١	٢	بهده	بهذه
٦٣	٩	ماله	ما له
٦٤	١٢	اليم	اليوم

BIBLIOTHEQUE EGYPTIENNE
EGYPTIAN